



محاسن الاسلام

بقلم الكاتبة الإيطالية

الدكتور لورا فيتشيا فاليري

LAURA VECCIA VAGLIERI

نقله

من الإيطالية الى العربية

ط فوري

بمحكمة استئناف مصر الاهلية

مقدمة الكتاب

من لباب اوروبا التي أحيتها المادة والتي ستميتها المادة ، في حيث تصطك المسماع بصلصلة السلاح في المصانع ، وقعقة الاحقاد بين الاضالع ، في حيث تحتال القوة وتسلط ، وتتضامل الروح وتنهزم ، وفي حيث القوة ملء المسماع والنواظر ، والفضيلة حظ الكتب والدفاتر .

من صميم اوروبا التي حجب دخان المادة آفاقها ، ورائت سحب الشكوك على قلوبها . من ذلك الوسط اللجب صر يراع له نغمات الاوتار ونسمات الاسعار ، وزججرة الاعصار وصوله القدر الجبار ، ذلك يراع الكاتبة الفاضلة الدكتور لورا فيفتا فالبرى المستشرقة الإيطالية .

هذه الكاتبة الفاضلة شعرت ان الاسلام في عنق المدينة ديونا ، وللإسلام لدى الحضارة قروضا ، وهي نبت المدينة وزهرة الحضارة ، فلماذا لا تفي تلك القروض ، ولا تقضي شطرا من تلك الديون ، لهذا أخرجت هذا الكتاب للناس فكان آية فضل ظاهرة ، ورمز مادة غزيرة ، وصدى ضمير حي ، وعبق نفس طيبة كريمة .

استعرضت الكاتبة الفاضلة نواحي من الاسلام ، سواء من اصوله أو من منابه أو من اعراض تكوينه وتطوره ، وجاءت من ذلك بما جمع لها بين سعة الاطلاع ، وطول الباع وجليل الانصاف ، وجميل الاعتراف ، فحق لها الشكر وحق لكتابها الاقتناء والدرس .

سليمه الناهي الفاروقي

منشيء الجامعة الاسلامية * يافا

كلمة عن هذا الكتاب

الكاتبة الإيطالية الشهيرة لورا فينتا فاليري وضعت هذا السفر النفيس الذي دل على سعة علمها وسداد حكمها وجها للحقيقة وذلك بأنها انصفت الاسلام ووزنته بميزان النقد الصحيح لاتحامل فيه ولا بخس لاشيائه وتغطيع لنوره وقد طالعت هذا الكتاب في نسخته الافرنسية وقدرته قدره واجزت شكر هذه السيدة الفاضلة المنصفة العادلة التي بلغني أن كثيرين من قومها حنقوا عليها من أجل هذا التأليف الذي لم تكتبه لأجل شيء سوى محبة الحق أكثر الله من أمثالها في كتاب الاوروبيين وجزاها عن الاسلام خيراً

جنيف ١٧ جمادي الآخرة سنة ١٣٥٢

سكيب اسمره

محاسن الاسلام

« مقدمة »

هدأت في إيماننا هذه نار الحقد والكراهية التي كانت تتأجج في صدور الباحثين من الاوربيين في الشؤون الاسلامية طوال سني القرون الوسطى ، وفي جانب كبير من سني العصر الحاضر ، ولم يعد نبي العرب في نظر احد ممن يتصدون لهذه الابحاث ، ذلك للمستحق لاحت الشائخ ، واقذع عبارات السباب ، حيث ظهرت في العهد الاخير ابحاث ادعى اصحابها التزام جانب الحياء التام فيما كتبوه ، وزعموا انهم خالون من الفرض وسوء النية ، وقد التفت مصنفاتهم هذه ضوئاً جديداً على اصول ديانة جديدة قلبت العالم بأسره رأساً على عقب ، على ان السلم القوي الايمان المحلص لربه ورسوله والذي يرى في الاسلام ينبوع سعادة ابدية في الحياة الدنيا وفي الآخرة لم يصل بصوته اليها الا ضعيفا جداً اللهم الا في بعض حالات شاذة نادرة ، وبطريق غير مباشر ، اذ ان اراء مشاهير كتاب الاسلام ، التي كتبت بلغات لا يفروها الا نفر قليل من الغربيين ، غلت بمهولة بوجه عام من العالم الاوربي . ولا نستطيع فهم الروح الصحيحة لدين من الاديان ، اذا لم نتبين جيداً اراء الذين يدينون به ونندرك الشعور الذي يحملونه بين جوانحهم .

ولما كانت النتائج التي وصل اليها هؤلاء الباحثون الغربيون غير متوفرة فيها العمرة الصادقة الواجبة ، كما انها قائمة غالباً على افكار لا يمكن بأية حال

من الاحوال ان يعلم بصحتها مسلم مخلص لعقيدته فهي لهذه الاسباب لاتصلح لان تكون اساساً لكتابة يقصد منها اطلاع الغربيين على كنه الديانة الاسلامية والشريعة السمحاء ، حتى يقدروا عظمتها ، ويمروا اصولها ، ويشعروا بقوة اقناعها ، ويلبوا بما فيها من عوامل تقدم ونهوض .

اذ ان المستشرقين امثال موير Muir واسبرنجر Sprenger والذين نلوم امثال : جولدهر Goldziher ونولديكه Woldeke وكاتاني Oaitani وغيرهم الذين سلکوا في النقد طرقاً مختلفه جد الاختلاف عن طرق البحث عند علماء المسلمين ، قد وصلوا الى التسليم بصديق محمد وخلص نيته ، والى التأكيد في شيء كثير او قليل من الوضوح ، بصحة استعداداته بصورة لا تقبل الجدل ، لوصي محمدوا الى تفسير خفاياه ، حين ارادوا ايضاحه بشكل مغاير مرفوض ، حتى لهدى الزناد من غير المسلمين .

اما المتأخرون منهم ، فقد استخلصوا اصول كل عنصر من عناصر العقيدة الاسلامية ، وبهشوا ادوار نشوئها وارتقاها ، حتى وصلوا الى الافتناع بان كثيراً مما يعتقد المسلمون انه منزل من عند الله على لسان محمد رسوله ، لم يكن غير نتيجة تطور بطيء ، او تفسير للمسائل الناجزة ، التي لم تكن واضحة تمام الوضوح في بدء الاسلام ، او انها كانت في اغلب الاحيان ثمرة الازمان للتأخره التي لم يشترك محمد في ايجادها باية حال .

وفصلوا الاسلام عن العناصر التي زعموا انها التحقت به في المصور التالية بفضل للبول والاذواق المختلفة واعتبارات الاجيال التي اعقبت محمداً لكي يحصلوا هذا الدين قائماً بذاته وعبادته الاولى التي لاشك في انها جزء منه . ونزموها عن صورة النبي حبيب ما اضيف اليها من الاساطير والروايات التي غيرت

حقيقتها ، لكي يمدوا بناء شخصية الأولى كما كانت في أوائل أيام رسالته أو في إبان الرسالة نفسها ، ثم أنهم بعد أن فعلوا ذلك كله تناولوا بالنقد الدقيق أقوال النبي كلمة كلمة وتبعوا أماله وحركاته واحدة بعد أخرى ، ووضعوا حداً فاصلاً بين ما أوحى إليه ، (وهو نعمة الإلهام الخارق) وبين للدارك التي نشأت في عقله على أثر اتصاله بالحياة اليومية ومعرفته للبهمة لجانب من البيانات الأخرى وبعد أن استن محمد السنن واشتد القوانين ، ووضع القواعد بصفته منشيء دولة ضخمة ، وظهرت نتائج أعماله التي أجراها بسائق رغبات ذاتية أو ادعائاً للحوادث . وبمباراة أوضح قد فصلوا العنصر الإلهي بمعناه الواسع عن العنصر الانساني الذي امتزج في قلب النبي نفسه فقصروا الإلهي على بعض أعمال لا نحتمل الشك ولا الجدل وبخاصة فيما يتعلق بالفترة الأولى من أيام الرسالة ، حيث كان محمد وهو ذلك الرجل الهاديّ الوديع مقبلاً بمكة . ولم يلبث أن دفعه حينذاك صوت خفي قاهر الى الجبل باراته ، والسمل على نشرها بالرغم مما لاقاه من السخرية والاهانة من مواطنيه . وهناك ما يقوله واحد من هؤلاء الكتاب وهو الأمير كابتاني Gaïtani في صحينتي ١٩٧ و ١٩٨ من مقدمة كتابه « حوليات الاسلام » ونصه :

« وبدلاً من أن يكون محمد رجلاً جامداً من أولئك الرجال الذين يقضون حياتهم على ونيرة واحدة لا تفسير فيها ولا تبديل ، فإنه كما نعلم يتبين من القرآن قد تطور عدة تطورات بحسب حاجات الجهاد الملحة في سبيل الحياة ونحت تأثير الحوادث المفاجئة التي لاقاها في حياته المضطربة كل الاضطراب وقد خضع لمدة تطورات خافية عظيمة ثم مات بعد حمل شاق وجهاد متواصل استغرقا محور ربع قرن من الزمان كلت عند وفاته قد اختلف كل الاختلاف عما كان عليه في بدء أيام الجهاد . ولئن كان محمد قد أثر في حوادث العالم

بأنه فان صغرى حوادث حياته كان لها فيه هو تأثير كبير . ولقد بقيت آثار ذلك التطور ظاهرة كل الظهور في القرآن الذي هو اكبر مراجعنا الاصلية واجدر مستنداتنا بالثقة والاعتبار كما انه من الممكن الوقوف على هذه الآثار من الاحاديث الماثورة عن النبي ، اذا ما تيسر الوقوف عليها وقراءة ما بين سطورها .

ولقد كان تطور محمد في بعض العهود سريعاً جداً حتى ان الايمان الخالص المطلق الذي كان يتحل به المسلمون الصادقون ، لم تكن لديه القدرة الكافية لهو آثار هذه التطورات ، ولقد غلّت آثار هذه التثويرات بارزة في القرآن ، حتى انه كان من الممكن اعتياداً عليها ، ان يباد وضم آياته بحسب ترتيب ازمان نزولها في ثقة تكاد تكون مطلقة .

أما التقدم التاريخي في التطور الذي يلاحظ واضحاً كل الوضوح في مدة نزول الآيات في المدينة فلا يمكن التسليم عقلا بان يكون قد حصل في تلك المدة المألومة ، بل لا بد أن يكون قد بدأ قيل ذلك بكثير ، ولهذا كان من الممكن ان تؤكد غاية التأكيد ، ان محمداً لا بد وان يكون في بدء حياته رجلاً مختلفاً كل الاختلاف سواء من الوجهة العقلية أو الاخلاقية أو الدينية مما كان عليه بعد الهجرة عندما صار سيداً لاهل المدينة واضاء في افق التاريخ بعد ان تخلص من ظروف ايام الرسالة الاولى ، ... ا. هـ .

هذا ما يقوله كاتاني Gaillani أما المسلمون فمتفقون مع جماعة المستشرقين في الاعتراف بان كثيراً من قواعد دياتهم مماثل أو مشابه لنظائرها في الهديتين الاسرائيلية والنصرانية ولكنهم لا يرون أن هذا يستدعي انكار نبوة محمد ، بل هم على التقيض من ذلك يرون في هذا تأكيداً لما قاله محمد من انه

خاتم الأنبياء والمرسلين . ومن بين هؤلاء المسلمين من يمكننا أن نطلق عليهم لقب « المجددين » الذين وصلوا الى التسليم بأن بعض هذه الآراء والقواعد التي قبلها جبهة المسلمين والتي تكرر بحثها ومناقشتها على ضوء النقد الحديث لم تكن الا ثمرة لعمل الاجيال التالية لمحمد .

ولكن هناك يوناً شامساً بين الفكرة الأوروبية وبين الفكرة الإسلامية الرشيدة التي يتجلى أثرها في نضائيف القرآن وفي تعاليم النبي الكريم . كانت الاولى وهي الفكرة الأوروبية ترى ان الكتاب « القرآن » صورة لتطور نفس محمد ومجموعة مؤلفة من عناصر مختلفة من السهل ادراك اختلاف قيمة بعضها عن قيمة بعضها الآخر . وان محمداً رجل يخطط بين الوحي السماوي والاهام البشري فيما بينه وبين نفسه ، ويستغل (في كثير أو قليل من حسن النية) تبعاً لحاجات نفسه وحسب الظروف والملابسات التي كان يملأ فيها وحيه ولما كان فضلاً عن ذلك ، من غير رجال اللاهوت وعلماء الجدل والكلام فقد وقم في تناقضات ظاهرة ستضطر للمؤمنين والمتأدين للناقشة بالحجج المنطقية الى بذل كثير من الجهد في سبيل تنسيقها .

واما الفكرة الثانية ، وهي الفكرة الإسلامية ، فتقول بأن القرآن قديم ازل غير مخلوق بل هو معجزة مباوية لا يستطيع الناس أن يقدروه أو يأنوا بمثلها ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وهو قديم موجود منذ الازل ، وان محمداً كان رجلاً امياً غير متعلم ، ومنفذاً للشريعة الالهية ، قد جاء الناس بهذه المعجزة الباهرة من عند الله تعالى في وجودها الالهي ومثالها السماوي ، بلا تمييز فيها ولا تبديل . علي هذا للتال جاءت السنة التي تناقلها الخلف عن السلف بالتواتر ، وهي الحديث الذي يدعون به مجموعة من التساليم التي ازلت كلها بوجهي

ساوي وذلك كانت هي الاخرى غير قابلة للتحويل ولا تبديل .

ازاء هذه الاختلافات البيئة في وجهتي النظر بين المسلمين والمستشرقين
 تلكين على دراسة روح الاسلام لم استطع ان استأنس في كتابي هذه الابانزر
 اليسير . ويمتعي الدقة والنحظ من آراء اعلام للمستشرقين من الاوروبيين ،
 واعتمدت بخاصة على ابحاث جولد زهر Goldziher العظيمة ، وعلى
 كتابات كبار المؤلفين من المسلمين . واني وان كنت قد استنثت الاقدمين
 المشهورين منهم كالفزالي واضرابه الا اني قد عولت كثيراً على ما سطره الكتاب
 الحديثون المحدثون الذين يمتقن اراؤهم وروح العصر الحاضر ، لا سيما المتصلين
 منهم بالحياة الفكرية فانهم ادركوا ان في الدين الاسلامي القدوة والكفاية في
 التكيف وفق حاجات الصور الحديثة ولذلك حاولوا ان ينسبوا اليه حركة
 تطورية . ولما كان جل مهمم الاشادة بمظلة الاسلام وجوهره ، واظهار محاسنه
 التي لا ريب فيها ، فقد سطرنا صحائف قيمة يستطيع اكثر النقاد الاوروبيين
 تشدداً وحاسه ان يتقبلها بقبول حسن .
 واما المراجع التي عولت عليها فهي :

١ — « الاسلام والرد على منتقديه » وهو مجموعة مقالات للامام محمد
 عبده ولنيره من مشاهير اعلام المسلمين .

٢ — « الاسلام والنصرانية » للامام محمد عبده

٣ — « مختارات من مقالات سياسية ودينية ظهرت في مجلة العروة الوثقى
 وهي التي كان يصدرها في باريس جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده .
 وجمعت بمد ذلك في كتاب مطبوع في مطبعة التوفيق .

٤ — « الرسالة الجديدة في حقيقة الديانة المصدية » وهي رسالة كتبها

الشيخ الجسر واهداها الى السلطان عبد الحميد

- ٥ — « كتاب للدين والاسلام » للاستاذ محمد فريد وجدي
- ٦ — « كتاب اظهار الحق » لرحمة الله ابن خليل
- ٧ — « الدين الاسلامي لا يناقض المدنية » وهو مقال للاستاذ الزهراوي
نشر بالجريدة في يوم ٧ مايو سنة ١٩٠٧

- ٨ — « كتاب روح الاسلام » لاميير علي
- ٩ — « كتاب عبقرية الاسلام » لثمان بك قبرصلي زاده
- ١٠ — « تقرير ثمان كامل بك في مؤتمر المستشرقين الدولي العاشر »
- ١١ — « تقرير الاستاذ عمر لطفي في مؤتمر المستشرقين الدولي العاشر »
- ١٢ — « مقالات مختلفة نشرتها مجلة للنار » وغيرها

ولما كنت اريد ان اضم عن الاسلام كتابا جامعا شاملا ولم يكن ذلك من السهولة يمكن لان للراجع السالفة الذكر قد نهجت فيها ميول مختلفة وابتعد كاتبوها احيانا عن حدود الاسلام ، كما وضع ، تلك الحدود التي رتبتمها واقامت معالمها اجيال اتعمقت في جهاد ومناقشة وبحث وذلك بحيث يظن ان الاسلام بمظاهر دين منيع جديد متأثر بالفكر الاوربي الحديثة ، فلهذا لم اعتمد على كل ما ادلى به كل واحد من هؤلاء الكتاب من البراهين وما وصلوا اليه من النتائج ، بل اخترت منها ما اجمعا على صحته وقبلة العالم الاسلامي الحاضر ، وافترضت على الاشارة الى النصوص التي اعتمدت عليها اللهم الا في حالة الاشارة الى فكرة مؤلف اصلية تخالف اراءه مراجعي التي اعتمدت عليها اولا تتفق ومجموعة الاراء التي نستطيع ان نطلق عليها اسم « فكرة الاسلام الابتاعية » .

الفصل الاول

سرعة انتشار الاسلام

﴿من صنع الحكمة الالهية﴾

في بلد قفر يواد غير ذي زرع، منزل عن الانسانية التمدنية ؟ قبحر
ينبوع ماء سلسل عذب منمش بين قوم من الهمج جبابرة غلاظ القلوب لا
يخضعون لسلطان ولا يتقيدون بقيد . ذلك الينوع هو دين الاسلام الذي
تدفق بفزارة واتخذ سيده في الارض سرياً فكان نهراً استحال بمده الى نهر
عظيم سرعان ما فترعت منه آلاف الجداول والانهار التي تغلغلت في البلاد
طولا وعرضا ولم يلبث الناس ان تذوقوا هذا الشراب العجيب وشفوا من
امراضهم الاجتماعية واتحد المتفوتون منهم وللتخاصمون وانطقات نيران
الحقد والكراهية للشبوية في صدورهم وزالت من بينهم اسباب النفور والحلاف
فبعد ان كان حب الانتقام والاخذ بالثأر هو السائد فيهم اذ لم يكن منهم
من تربطه باخيه في الوطن آية رابطة اجتماعية اهم الاصرة القرابة والرحم
تبدلت أحوالهم وساد بينهم شعور طريف هو شعور المحبة والاخاء واصبحوا
بنعمة الله اخوانا يؤمنون بفكرة واحدة في الدين والخلق .

استحال هذا الماء للقدمين سيلاً جارفاً اكتسح بقوته الساحرة بلاداً
عظيمة قتل عروشها وطوى مجدها على السجل فكنت قبل ان يتمكن اهلها
من ان يؤمنوا بالحدة لهذا الحادث المجلل فتطلب عليها واكتسحها اكتساحاً

واقظ بصيحته القول النافذة التي كانت تنطق في سيات حقيق وكون من تلك
الامم المتعددة شعباً واحداً عظيماً .

لم يشهد التاريخ حادثاً مماثلاً لهذا الحادث الخطير لان السرعة العظيمة
التي اتم بها الاسلام فتوحاته كل لها ابلغ الاثر في حياته . اذ انه بعد ان
كان عقيدة نفر قليل من التحمسين اصبح ديناً لعدة ملايين من الناس ولبت
شعري كيف تألى لهؤلاء المجاهدين غير المدربين ان يتصرفوا على شعوب
بفوقونهم مدنية وثروة وبزبدون عليهم درة ومراساً للحروب وسكيف
استسلموا ان يسطوا سلطاتهم على بلاد متسعة الارحاء وان يحتفظوا
بفتوحاتهم هذه ويوطدوا هذا المرح العظيم الذي ثبت أمام حروب شديدة
استمرت قرونًا عديدة فلم تقو على دمه ووقفض بنيانه الشاخ اللتين ، وكيف
امكن هذا الدين ان يوطد في نفوس اولئك المتهدين الحديثي اليمان أمتين
الاسس وكيف تسنى له ان يحتفظ بحيوته العظيمة التي لم تعرف مثلها ديانة
اخرى من قبل حتى بعد ثلاثة عشر قرنًا خلت بعد حياة مؤسسه .

وكيف استطاع هذا الدين ان يغرس تلك الحاسة الدينية في نفوس اتباعه
الجدد المختلفين عن اتباعه الاول في الجنس والثقافة لغزو حذوم في الاخلاص
له والتضحية في سببه . لسريري ان هذا كله لما يبعث في الانسان الشيء الكثير
من العظمة والقول

قام الاسلام في نشأته الاولى بمكة وكانت دعوته اذ ذاك قاصرة على
عبادة الله واحد ثم اصبح بعد هجرة محمد واصحابه الى المدينة قوة سياسية عظيمة
كان ذلك الرجل الذي احتمل الكثير من اضطهاد قريش له وسخرتهم به لم
يلتجئ بعد ان اوسى اليه من الله الملك عن نفسه ان شهر سلاسه في وجوه

اعدائه ولم يضمه بعد ذلك .

لم يرضى سامان على ذلك التاريخ الذي قامت على اثره نهضة الاسلام ويزوغ نهمه وتآلق نوره في سماء الاجتماع والسياسة حتى انتصر للسلوون انتصارهم الباهر على اهل مكة في غزوة بدر الكبرى . واذا استثنينا بعضاً من الهزيمات البسيطة التي لم يكن منها بد فقد احرز السلوون انتصارات باهرة في سلسلة من الغزوات المتتجة (وقد كانت هذه الغزوات مشروعة في بلاد العرب منذ اقدم العصور ولم يكن ينظر اليها بالعين التي تنظر بها اوروبا في الوقت الحاضر وكتب لهم الفوز في فتوحات هامة سواء في ميدان الدين اوفى ميدان السياسة وقد انتهت هذه الفتوحات في السنة الثامنة من الهجرة بذلك الحادث ذي الالهية العظمى وهو فتح مكة .

خرجت بعد ذلك جواهر من فرسان العرب من صحاريهم المنقطعة ولم يلبثوا ان اشرقوا على حدود فلسطين واندفعوا في شجاعة نادرة المثال نحو البلاد السورية وعندما خفت صوت النبي في العام الحادي عشر من الهجرة ذلك الصوت الذي وصل الي احمق القاب البشري وكان على وشك ان يحدث دويا عظيما في الافاق النائية كانت قد اعدت حملة عظيمة تفوق سابقتها لهذا الغرض .

في هذا الطرف كانت العرب بامرها متحدة مؤلفة كلهم البنيان للرصوص فلم تتجمع محاولات فر من عصاة البدوي الرجوع بالبلاد الى فوضى الجاهلية الاولى عندما خرجوا على حكومة المدينة وشقوا مصالطة وارتدوا عن الاسلام افليس من اكبر معجزات هذا الدين الجديد ان يؤلف بين قلوب اقوام كهؤلاء العرب عاشوا اجيالا عديدة في مخاضات شديدة وحروب اهلية مستمرة

فصرفوا بغضه الانهاد والاخاء والسلام

اما ما ورد في القرآن من ان الاسلام دعوة عامة لبشر كافة فقد شملت التأكيد في سورة الانبياء بان الله قد ارسل نبيه رحمة للعالمين (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) واما الموضع الذي وصفت به التعاليم الالهية بأنها دعوة عامة موجبة للعالمين ففي سورة يوسف (ان هو الا ذكر للعالمين) وقد جاءت هذه الآية بالنص في سورة التكوين وجاء في سورة التلم (وما هو الا ذكر للعالمين) وقد قصد بكلمة (العالمين) في هذه الايات الى الانسانية باوسم معاني الكلمة واما الاحاديث المتعددة التي جاء فيها ان النبي قد بعث الى الناس كافة فنما قوله: (بعثت الى الاحمر والاسود) الى غير ذلك من المبارات الماثلة او التي تشير الى فتوح مستتبها وغارات وغزوات افندت في ظروف متعددة وبديها في حياة الرسول والتي تشير الى العلاقات التي اجتهد هو في ايجادها مع الدول الاجنبية — كل ذلك تراه بلاشك دليلا محسوسا على ان الرسول كان يشعر ولا ريب بان رسالته تتخطى حدود بلاد العرب وانه كان يرمي الى نشر هذا الدين بين الامم التي تختلف عن العرب في الجنس والقامة

واما الخلفاء الذين خلفوا محمدا في حكم الدولة الاسلامية والذين كانوا تراجعة ضميره فقد ساروا على سنته التي سنها لهم وجعلوا راية الاسلام الى قلب القارة الاسيوية من جهة والى امواج المحيط الاطلس من الجهة الاخرى

لم تكن قدمهضت سوي ست عشرة سنة عندما سقطت دولة الفرس في ايدي العرب بعد موقعة القادسية مع ان هذه الامبراطورية ظلت مدعى اجيال عديدة في مراك مستمر بم الامبراطورية الرومانية الشرقية بدون ان تتغلب احدا على الاخرى اما ملك الفرس (كسرى) فقد هرب من العرب وجعل يلجأ الى اقليم بعد

أقليم حتى بلغ حدود بلاده ومات في سنة ٣١ هجرية وبذلك صارت امبراطورية
الفرس باجمها بلاداً عربية .

أحتل العرب كذلك فلسطين وسوريا ولم ينصرف العام التاسع عشر للهجرة
حتى صارنا بلاداً عربية . وفي سنة ٢٦ هجرية كانت جيوش العرب الظافرة تندفق
نحو حدود الموصل وفي قلب بلاد ارمينيا وعندما انشأ العرب اسطولهم كانت
لهم في كل عام حملة تقوم من اطراف سوريا لغزو بلاد آسيا الصغرى وقد
اتمى بهم الامر الى ان هددوا الامبراطورية البيزنطية في عاصمتها نفسها . وفي
سنة ١٨ هجرية ظهر اول جيش للعرب في مصر . وفي سنة ٢١ هجرية استسلمت
الاسكندرية لغزاة من الاعراب . وفي سنة ٢٣ فتحت طرابلس الغرب وفي سنة
٢٧ قامت اول حملة عظيمة لغزو افريقيا الشمالية كما احتلت بلاد النوبة

ولكن ما قائمة الاسترسال في ذكر هذه التوليف التي قد يطول شرحها
وحسبنا ان نذكر ان الجيوش كانت على اتم استعداد للحروب ولم تكن لتعوزها الحامسة
لقتال ، كما كانت للمواقع الحربية تتابع واحدة تلو الاخرى حتى ليخيل للمرء
ان هذه الانتصارات الباهرة المتوالية التي نالها هؤلاء الفاتحون كانت تضم اجنحة
لاقدامهم اذ كانوا يمدون في هذه الفتوحات بمنتضى ما يمكن من السرعة ثم ان
خلافة ابي بكر (سنة ١٣ هجرية) وخلافة عمر (سنة ٢٣ هجرية) وخلافة عثمان
(سنة ٣٥ هجرية) كل اولئك اشتهرت بانتصارات عظيمة اعقبها ايجاد نظام
جديد لتوطيد هذه الفتوحات ولم يكن هذا النظام ليقبل عنها حكمة وعلو شأن

بعد ان زالت مدينتا القولتين الفارسية والرومانية وتهدمت ديانتهما مسمى
في عروق الشعوب تيار جديد وانتشرت بينهم ديانة جديدة بسيطة تتحدث الى
العقل والى القلب مما كما ظهر نظام جديد للحكم بفضل كثيراً تلك النظم التي

كانت متبعة هناك في ذلك الوقت نظراً لمبادئه الخلقية القوية كذلك انتقل المال
المحبوس في خزائن الاشراف الى ايدي الفقراء وعامة الشعب واخذت تتناوله
الايدي مرة ثانية وتستفيد من ثمراته وقد ظهر في الحكم رجال اذكياء مستبشرون
اقاموا حكومة رشيدة تستند الى آراء ديموقراطية صحيحة ، وقد تدرجوا في
الحكم وتبوأ اسمى للاراكز . ثم لما هدأت عاصفة الفتوحات وما تبعها من فوضى
وتسفف ، بدأ عهد جديد ، عهد نهج وثرأ لم تره القارة الاسيوية منذ قرون
بعيدة كما ان للقبورين كانوا يجهلون من حكمهم الجدد كل ضمان لطمانيتهم
ويتمتعون بكافة حقوقهم للشريعة كما ان ارواحهم واملاكهم كانت مكفولة
وبالحلقة كانوا يعاملون معاملة اخوانهم للسلمين سواء سواء

...

اخذ الناس الذين دهشوا لهذا الانقلاب الاجماعي الديني السياسي يقاسون
عن سببه الاول ولكن الكثيرين منهم كانوا لا يعصرون او تمعدوا اغراض
عيونهم فظلوا يشغبطون طويلاً في عماهله الفلظ والشطط ولم يدركوا ان القوة
الالهية هي التي اعطت الاشارة الاولى لهذه الحركة المباركة الواسعة النطاق ولم
يشاؤا ان يصدقوا ان الحكمة الالهية هي التي اقتضت ان يكون محمداً خاتم
الانبياء والمرسلين وسجلت له الى الان رسالة عامه الى الناس اجمعين بنبر غميز
بين جنس وجنس او بين بلد وبلد

ظل هؤلاء في ضلالم يعمهون وجرم خبيث يتهم وسومطوبتهم الى مساواة
الاسلام ومتابعيته المداة فاحذوا يتهمونه بانه كان روح عدوان وانه فرض على
الناس بحمد السيف وجعلوا يرمونه بالنصب وقلة التسامح كما شوها صورة
محمد ورموه باشتن التهم كالقتاوة والسفاقة والذناة وانكروا عليه عمله السجيب

كصالح ديني وسياسي قدبر وحاولوا اظهار اصحابه واعوانه في صور رجال
معرضين كانت تدفعهم الى مناصرته شهواتهم ومصالحهم الخاصة

ويجب علينا قبل ان نرد على هذه التهم ، ان ننضم على تكييف عبارة (روح
العدوان في الاسلام) فهل قيد هذه العبارة ان محمداً كان الوحيد من بين
رؤساء الديانات الذي شعر سيفه وجهاز حملات حرية وكان دائماً يتطلع الى
فتوحات بعيدة المدى وان خلفاءه واتباعه قد صاروا على سنته . انا نعرف
وقر بان هذا كله صحيح الا انه يجب البحث بنير نخب عن السر في ما ذكر
ولكن اذا اردت القول بان الاتجاه الى الحروب للدمرة والفتح بقصد نشر الدين
كان مبدأ من مبادئ الاسلام قائما هنا نحتاج ونخالف القائلين بذلك بل يمكننا
ان نثبت استناداً الى نصوص القرآن الذي في ايدينا والى اعمال محمد ان هذه
للزام ليس لها ظل من الحقيقة.

وذلك ان النبي الذي كان يدعو الى دينه بسكينة ويحدث عن الوحي
السماعي كشاعر ملهم ، مختلفاً في هذا السبيل صنوف الاهانات والاضطهادات
من قريش بصبر وجه عظيم ، وقد صمم تصميمًا جازماً على الهجرة الى المدينة
ولما دخل في هذا الصراع كان مخيراً بين امرين اما ان يظلم على امره ويقع
في عقر داره وهذا ما لم يرد الله واما ان يحارب هؤلاء الاعداء ليدقم اذام
عنه وعن اصحابه وكان الصراع قائماً بين فوضى الحكم ومادية الجاهليين الفلاظ
. ونفاق اليهود ، الذين وان كانوا اكثر مذبذبة واستشارة الا انهم كانوا متمسكين
لا يرفضون التسامح وبين مثل اعلى لتجرد الديني والاجتماعي . وكان محمد
يريد تحقيق هذا التجديد على يديه مهما كلفه ذلك فخارب وكانت حرباً بين

ضعفه وقوهم وقهره وغنام ولكنه كان في هذه الحروب قويا بشموزه بانه صوت الحق بين الاكاذيب وانهم على ضلال وانه هو المهدى الى سواء السبيل

نزل ان اول ما قام به النبي عند دخوله المدينة ان مند يد الصداقة الى اليهود الذين كانت لهم فيها حين ذاك جالية تتمتع بالقوة والثناء ودعمهم الى التنازل معه في سبيل ايجاد وحدة سياسية واجتماعية . ولكن عندما ظهرت له عداوتهم المتأصلة وخبت مريرتهم وغدرهم وخيابتهم اضطر اذ ذاك لمحاربتهم بالضرب على ايديهم . اما محاربته لاعدائهم غير أهل المدينة فقد كانت لضرورته تقتضيها الظروف لانه لم يكن من المستطاع سكون العرب الى حالة السلم دعة وقد تعودوا منذ القدم ان تكون الحرب لهم منة ويا ب ارتزاق . ولما كان الاسلام قد وضع حدا للخصومات وللشاكل بين المؤمنين فأنهم لم يروا بدا من التطلع الى القبائل التي لا تتحالف معهم

ولقد كان من شأن هذه الحروب والانتصارات انها امتدت للهاجرين مع النبي باسباب الحياة في وقت كانوا فيه محرومين من موارد الرزق ووسائل للعيشة وكونت وحدة جديدة مؤلفة كما انها كانت مبعث حياة وهدى لقوم عرفوا بالخشونة والاستهداف للمخاطر فلم تكن الحرب اذن غرضا من اغراض الاسلام بل كانت وسيلة لا محيص عنها لنشر الايمان الصحيح وكانت دفاعا ضروريا ولم تكن اعتداء ظالما ولقد بين القرآن بجلاء هذه الفكرة الاخيرة واليك ما جاء في سورة البقرة (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وقوله تعالى في نفس هذه السورة (وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله كان انتبها فلا عدوان الا على الظالمين)

وعسا لامراء فيه ان جعل الطوائف البشرية وحده هو القوي يهدد للاعداء بان

المسلمين لم يكونوا مدفوعين في فتوحاتهم بروح العدوان ولكن هل من الانصاف ان يتهم الدين الاسلامي نفسه بهذا العدوان ؟ في الواقع ان الفزاة للمسلمين لما انسوه من قوتهم وضمف الامم المحيطة بهم لم يكن هناك ما يكبح جماحهم ويقيهم في حدود القانون

على ان العرب الظافرين كانوا وهم في اوج قوتهم وامتداد شوكتهم يطلبون من الشعوب التي يتغلبون عليها الكف عن كل عمل عدائي وتأدية الجزية هذا اذا لم يعتنقوا الاسلام ويدخلوا في حظيرة الوحدة الاسلامية وبذلك يتمتعون بما للمسلمين من حقوق . وان تاريخ دعوة محمد والفتوحات الاسلامية الاولى لتدفع عن الدين الاسلامي تلك الفرية القائلة بان الاسلام فرض بحد السيف وبانه لم ينتشر بغير هذه الوسيلة فقد جاء في القرآن في سورة البقرة ما نصه (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالغياوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم) وجاء في سورة الكهف (وقل جاء الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

ولما كان محمد قد صدح بهذه الاوامر الالهية فانه كان كثير التسامح وبخاصة مع اهل الكتاب كما انه اخذ للشركين بالكثير من الصبر والناة لانه كان يتوقع هدايتهم مع الزمن . واما البدو من اهل الصحراء الذين كانوا ينفرون من كل قيد فانه كان يفتح منهم بالاسلام الذي لم يكن الاشكليا في اغلب الاحيان لانه كان يعلم قينا ان كلمة الله لا بد وان تصل في النهاية الى القلب البشري . وقد قال لاحد انصاره ذات يوم اتريد ان تكره الناس على الايمان مع الدين وحده .

وعندما انزلت آيات القرآن التي توصي بالتسامح لم يكن محمد رجلا

خياليا يتبعه جماعة من الخياليين امثاله كلا ولم يكن فيلسوفاً افحمته قوة خصومه بل كان اذ ذاك في اشد ايام قوته وعظمته وكان على رأس حكومة قوية منظمة وتحت امرته جيش ممتليء بالحلية والحاسة وكان في استطاعته اعمال السيف حيث شاء ومضى شاه .

اما تسامح الخلفاء الراشدين مع اهل الكتاب فثبت من تاريخ فجر الاسلام ولم يعرفوا بالشدة الا مع الوثنية التي حاربوها في غير موادة لانها كانت عقيدة لا تنمى مع المدنية بآية حال . وكما فعل النبي مع النصاري من اهل نهران اذ ضمن لهم بقاء معاهدكم الدينية وحمايتهم وكما اوصى احد قواده الذين بعث بهم الى اليمن بالا بتعرض لاي يهودي في دينه كذلك فعل هؤلاء الخلفاء اذ كانوا يزودون قواد جيوشهم بمثل هذه الوصايا قبل ذهابهم الى ميادين القتال .

وكما كان النبي يتقيد للعاهدات مع خصومه المغلوبين على امرهم فكذلك فعل الخلفاء اذ كانوا كلما تباحوا في الظفر والانتصار يرتبطون مع المهزومين باوثق للعاهدات ويتركون لهم الحرية في البقاء على دينهم وتقاليدهم القديمة في مقابل اداء فريضة هينة غاية في الاعتدال وهي (الجزية) التي كانت اقل بكثير مما كانوا يدفعونه من الفرائض لحكوماتهم السابقة . وكانت الخلفاء يشملون رعاياهم هؤلاء الذين كانوا يسمونهم اهل الذمة بحماية ورعاية لا تقلان عما كان يتمتع به للسلمون .

ولما كانت تعاليم النبي وخلفائه الاول تعتبر بمثابة قانون للمسلمين فانه يمكن القول بحق ان الاسلام لم يقتصر على التوصية بالتسامح بل انه قد ادجمها في قانونه السماوي بحيث صارت قاعدة اصلية من اصول الدين .

فعمداً كان يتم الصلح مع الشعب للقبول كان للمسلمين يتروكون له حرية
الفكر وحرية العقيدة ولم يحاولوا جعله السبب في تغيير عقيدته الأول كما أنهم
لم يربطوا مع جنودهم الثقافة حملة من جماعات الوعاظ والبشرين الرعبيين
المجوسيين بقصد نشر الدين .

وفي الحقيقة ورغم الأمر أن للشاهنشاهين ومن بعدهم أن هناك إيجاباً محتملاً
كل من يعتنق الديانة الإسلامية فهو أن يقدم لخاصة بالقرار في نفسه
بأن اعتناقه الدين الإسلامي أساسه بعض اختياره وليس نتيجة إكراه ولا
إجبار من أحد وليس من أجل عرض من أعراض الدنيا ، مثل هذا العمل
ليس من شأنه تسهيل نشر الإسلام ، بل قد يعرض الأمر في زمن خلافة بني أمية
إلى حد إقامة الصوامع والسراويل للمدخل للشعوب ، كما هو شأنه في سائر
وذلك لأسباب اقتصادية لأن إسلامهم إن يعفيهم من أداء الجزية الأمر الذي
يترتب عليه حصص كبيرة إيرادات الدولة .

لم يكن النصارى واليهود ليتركوا شأنهم بغير مضايقة لهم من أمر دينهم
فحسب بل كانوا يرفقون إلى أعلى للتأصب متى سمحت لهم بذلك ، وهؤلاء
وكفالياتهم الشخصية وهناك أمثلة كثيرة لا تدخل تحت حصر تشهد كلها بذلك
ولا تنكر أن اليهود والنصارى كانوا يلاقون في بعض اليهود المتأخرة
شيئاً من المضايقة في إقامة شعائهم الدينية وكانوا يلزمون بحمل علامات
وشارات تميزهم عن المسلمين وكانوا يمتنعون من إقامة كنائس جديدة أو إصلاح
القديم منها على أن هذا لم يتم إلا في حالات نادرة وذلك عندما دخلت أمم
أخرى من غير العرب في حظيرة الإسلام وحملت إليه ميول التعصب والكراهية
الدينية التي كانت متأصلة في نفوسهم وطوائهم قبل الإسلام .

ولا نستطيع ان نشكر ان الاسلام كافي الديانات الاخرى لم يعرف تلك
للبيول التي كانت سببا في اراقة الدماء واستعمار نيران الاحن والاحقاد ولكن
يجب ان نمترف ان اسبابها الاولى كانت بالغالب نتيجة عوامل خارجة عن
الدين تلى انه سرعان ما تبدلت هذه الاحوال وعاد عهد الخير والطمأنينة والصفاء
سيرته الاولى .

وكذلك قامت خصومات عنيفة داخلية بين فرق الاسلام المختلفة فظلمها
شيء من العنف والاضطهاد ولسكتنا اذا ما بحثنا عن اسباب هذه الخصومات
والباعث عليها لوجدنا ان منشأها للسائل السياسية وتنازع الحكم على ان
السياسة كان لها ابلغ الأثر .

كذلك قام اعداء الاسلام الالهة الذين ابراهم الحق والتعصب واتهموا
رسول الله ذلك الرجل النبيل الذي كان ينظر اليه قبل الرسالة نظرة اكبر
واجلال من جميع مواطنيه لما تحمل به من الامانة والسجيا الكريمة . وكانت
هذه التهمة التي رموه بها عما لا يقبله عقل ولا يمكن ان يسلم به عاقل فضلا عن
انها لا تقوم على أي أساس وهي تهمة الفسح والفساد . وليت شعري كيف
ان هؤلاء الناس لم يسألوا انفسهم اذا كان النبي في الحقيقة كاذبا فكيف اجترأ
على ان يوجه في القرآن الى الكذابين والمخادعين أشد
عبارات القم واقصاها . وكيف توعدهم بالنار وسوء العذاب . وكيف نسئ
له ان يقوم بدعوته اذا لم يكن هناك وحي الهى يدفعه اليه . واذا كان كاذبا في
دعوته كما يتروون فكيف صمد المعاقمة اكثر من عشر سنين وهو في مكة
احتمل في اثنائها الشيء الكثير من صنوف الاضطهاد والالام وهو ذلك
الرجل الوديع الهادي الطباع . وكيف تميا له ان يحاز اليه طوعية اختياراً

بل وبعثى التعمس جماعات كبيرة من رجالات قريش وبنلائهم وان ينضوا
تحت لوائه مع غيرهم من السوق والمبيد ۲۲ او ليس ذلك لانهم تبينوا صدقه
ونفقوا صحة بما جاء به ؟

حسبنا ما قدمناه من الادة والبراهين . لان رجال الغرب ايضا قد
بدأوا يقتنمون بان اخلاص محمد في دعونه كان امراً لا ريب فيه
أما تهمة القسوة التي يوجهونها اليه فن السهل دفعها لان محمداً الذي كان
على رأس حكومة ويتولى المقام عن حياة الشعب وحرية كان يحاكم الخارجين
على القانون بصرامة وشدة اقتضتها ظروف البيئة التي كان يعيش فيها .

ولقد كان محمد — كرسول يدعو الى الله — رجلاً رحيماً لين الجانب
حتى لاعدائه الشخصيين وبذلك اجتمعت فيه فضيلتان كانتا هما اكبر الفضائل
التي يتصورها العقل البشري واما الرحمة والمداة . ولا نرى بنا من حاجة الى
اراد الامثلة على ذلك فن السهل الوقوف على كثير منها في الكتب الواضحة
عن تاريخ حياته . وبعبارة ان الحرب التي هي اقصى ضرورات الحياة
الانسانية قد صارت بفضل اقل وحشية وقسوة . اذ انه كان يطلب الى
جنوده الا يقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا يهدموا بيوتاً لم تتخذ كمأكل
حربية . ولا يدمروا ما بها من اسباب الحياة والا يمسوا الاشجار للشرية
والخيل .

وفي فصل تال سندفم التهمة الاخرى التي رموه بها وهي تهمة النسق
والنمور وسنظهر بكل جلاء عظمة اعمال ذلك الصلح التي قام بها في سنين
قلائل غير في اثباتها تلك الامة الممجيبة الرثية وكون منها شعبا سامي الشعوب
يبد الها واحداً ولن تردد في الرد على القائلين بان معظم انصار محمد كانوا

من ذوي المارب الشخصية وقطاع الطرق وانهم ما كان يدفعهم للانضمام اليه الاحبهم للقتال والاسلاب . ويضيق بنا للقيام اذا حاولنا ان نذكر الامثلة المديدة على ما امتاز به معظم رجال محمد من الحاسة العظيمة والرحمة والخبرة وكرم الخلق اذ ان من المارك ما لا يمكن ان يبرز فيها النصر من لم يكن قلبه مشعبا بالحمية والايمان والخلق الكريم والزمي السديد

والان وقد اتينا من الرد على تلك التهم التي وجهت الى الاسلام في
 الطالب نضم هذا السؤال :

كيف لم ينقطع الاسلام عن الانتشار والديوع في افريقيا واسيا رغم حرية
 الاعتقاد الكبيرة التي يتمتع بها غير المسلمين في البلاد الاسلامية ورغم عدم
 وجود نظام فدعية الاسلاميه ورغم عدم الانصراف عن الاهتمام بالشئون
 الدينية في هذه الايام الاخيرة وهو الان لا يسبقه سيف الفناجين بل على النقيض
 من ذلك فان البلاد التي كانت ترفرف فوقها رايته اصبحت محكومة برجال
 ذوي عقائد اخرى ولم يستطيعوا مع ذلك ان يعترفوا برعايتهم عنه او يقتلوه
 من قلوبهم

فاية قوة عجيبة تطوي عليها هذه الديانة وما هي قوة الاقتناع التي تستبد
 اليها وفي اية عروق النفس البشرية نجد غذاءها وقوام حياتها ؟؟؟

الفصل الثاني

بساطة العقيدة الاسلامية

يطلب الاسلام من الرجل امرا مزدوجا وهو ان يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله

ولما كان اليهود والنصارى اذ ذاك قد ضعف ايمانهم بمقاييسهم فقد دعاهم النبي ودعا معهم عبدة الأوثان الى ديانة التوحيد وهي خير ديانة أخرجت للناس تنفيذاً لما أوحى اليه من الله وأخذ يناضل نضالاً شريفاً ضد كل فكرة تجعل مع الله الها آخر (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ... « سورة الاخلاص »)

ولم يؤثر النبي في افكار الناس بمسجزات من خوارق الطبيعة لكي يهديهم الى الايمان بوحداية الله ولم يرعبهم بتهديدات سماوية تمنعهم عما قلوبهم بل دعاهم دعوة تحقيق وايضاح وبيضة وافصح ولم يخرج بهم عن ميدان الحق الصريح والنطق السليم وطلب اليهم ان ينظروا في الكون وما حواه من حكمة واعتبار ذلك لان الانسان اذا ما تصفح كتاب الطبيعة لا بد ان يستنتج وجود خالق واحد هو اللدبع لهذه الكائنات وكانت دعوته هذه كما قال الشيخ محمد عبده وأمير علي موجبة الى قلب الانسان وعقله الفكر وقد جاء في سورة البقرة (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد

مونها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات تقوم بعقولهم)

وفي القرآن كثير من الآيات التي تخص على الاعتبار بنظام الكون والطبيعة وليكن لنا نكتة في ايراد بعض آيات وردت في سورة الرحمن (والارض وضعا للانعام بها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فبأي آلاء ربكنا تكذبان خلق الانسان من صلب كالفخار وخلق الجن من مارج من نار فبأي آلاء ربكنا تكذبان . رب للشرقين ورب للغرب فبأي آلاء ربكنا تكذبان . مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان مخرج منهما الاولوالمرجان فبأي آلاء ربكنا تكذبان)

انهدمت الوثنية في جميع صورها المختلفة بفضل الاسلام وبذلك تحررت المادك ونشطت العقائد وخلصت الحياة الاجتماعية من مظاهر الوحشية التي كانت تشوه جمالها ونهطت من قدرها وانشطت الاوهام التي كانت تسيطر على النفوس وشعر الرجل بقيمة نفسه وكرامتها اذ لم يعد يخضع الا لآله واحد قاطر السموات والارض وهو اله الناس اجمعين وجاز له بل وجب عليه ان يقول ما قاله ابراهيم الخليل (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ... ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين (سورة الانعام)

ويخلص النفس البشرية من اوهامها تحررت ارادة الانسان من الروابط التي كانت تقيد ارادة الآخرين أو بسلطات خفية مزعومة فان الرهبان والكهان ومحاسرة الاقاذ وكل من كانوا يدعون لانفسهم صفة الوساطة بين الله وربهم وكانوا يزعمون ان لهم بسبب ذلك حق الهيمنة على ارادة الناس كل

هؤلاء اضطروا ان ينزلوا من عروشهم قسراً فصار الرجل بفضل الاسلام عبداً فقط
 لاله واحد هو الحق القدير وصار الناس سواسية كلسان للشط لا فضل لاحد
 على الآخر . فقد اوصى الاسلام بالمساواة بين الناس في وقت كانت فيه الشعوب
 تفرز تحت نير الاختلافات الاجنبية واصبح للسلم لا يمتاز عن اخيه بحسبه ولا
 بنسبه ولا بلحي سبب آخر خارج عن شخصه اللهم الا بقوى الله في اعماله
 وبموافقه العقلية وبما يتحلى به من الفضائل والكالات وفي هذا يقول القرآن في
 سورة الحجرات (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر واثى وجعلناكم شعوباً
 وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وروى عن النبي انه قال ما مناه
 ان الله بفضل الاسلام قد اذل كبرياء الوثنيين واعتزازهم بالانساب والاحساب
 وذلك لان الناس جميعهم من نسل آدم وقد خلقه الله من تراب واذ اكرمهم
 عند الله اكرمهم منه خوفاً ووقوعاً

وقد رفع الاسلام النقاب الذي اسدله الآخرون على الكتب المقدسة ليحولوا
 دون فهمها وانب اولئك الذين لا يعرفون من امر هذه الكتب الا قرامها وشبه
 الذين لم يفهموا روح التوراة ومراميها ولم يحسنوا القيام على ذلك
 بالحجار يحمل اسفاراً ودعا كل رجل يحمل في قلبه الايمان للضحج ان
 يتخف بثقافة تؤهله لسام كلمة الله وفهم كتابه والوقوف على معانيه . ولهذا
 لم يتمدد للوثنيين على تفسير يشرح لهم آيات الذكر الحكيم شرحاً دينياً تاريخياً
 خاصاً يكون اساس جوهر تعاليمهم ومنار عقيدتهم . وليس للمسلمين مجامع
 مقدسة ومجالس (سينودس) خاصة تقرر لهم نصوصاً تكون لهم بمثابة اصول للديانة
 الصحيحة ولم يتعرف الاسلام لكائن من كان من انبائه بحق الحكم على ايمان
 احد من اخوانه في الدين وقد جاء في سورة الحجرات « يا ايها الذين آمنوا لا

يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى انهن
خيراً منهن»

وقد اكدت الاحاديث بنوع خاص ان قبول الايمان من اللزء انما هو من
حقوق الله وحده وان العبد ليس له ان يحكم على ايمان آخر وليس له ان يقول
انه مقبول او غير مقبول

واذا كان اتباع للذاهب المختلفة قد أنهم بعضهم بعضاً بمخالفة الدين
والمرور منه في الازمنة السالفة عندما كانت الابحاث الدينية قد تطرق اليها
الفساد من جراء المجادلات العقيمة وحاولوا ان يستمينوا بالسلطات للدينية لنزول
بخصوصهم اشد العقاب باثبات صحة هذه الاتهامات فكانه منذ بدأ القرن الخامس
الهجرة وأهل هذا الاشكال بفضل حجة الاسلام واكبر مفكريه الامام القرطبي
الذي ادان المذهب القائل بان الاجماع على العقائد الاساسية للدين هو اساس
الاعتراف بايمان الناس وبان الاختلافات حول التفاصيل في الاعتقاد والذاهب
لا يمكن ان يؤدي الى اللروق من الدين وقد قال ذلك الفيلسوف « يجب ان
لا تنال بلسانك من الناس الذين يوجهون وجوههم شطر مكة » فذه النظرية
عمليتي وضمت حداً لتلك الشاكل وبغضها انهارت تلك المجمع الواهية وكل
النصوص التي وضعت لكي تكون وحدها دون غيرها اساساً ابدى الايمان
الصحيح وبذلك عاد الى الاسلام روح التسامح الذي عرف به المسلمون الاولون
والذي كان مهدداً بالازوال من جراء سوء تفسير لروح الدين الحق.

يقول الاسلام ان الله واحد في ذاته ومفاته لا شريك له في الخلق والقدرة على كل
شيء اللهم على جميع الخلق وهو الدين يوم يقوم الحساب وهو الذي يشمل برحمته
عباده الذين يعبدونه ولا يهرأون بصوت نارهم ولا يذوقون عذابهم فناء ولا ينج

عن ذكر الله . وقد نزلت سور القرآن الاولى في شكل قطع تمثيلية اخروية رائحة
قارويل كل الويل لمن لم يتدبروا على ما اجترحوا من السيئات ولم يطلبوا من الله
الرحمة والغفران فلم يفي الاخرة عذاب انهم والويل للامم التي قاومت الرسل
والانبياء واجترأت على تكذيب ما جاءوا به من بينات اولئك سيعاقبهم الله
جزاء لهم على ما كانوا يعملون وهو السميع العليم البصير وهو خالق السموات
والارض والحياة والموت وهو رب العرش العظيم قد - ١ بكل شيء علما يده
الخير انه على كل شيء قدير واذا اراد امرأ فانما يقول له كن فيكون يفعل ما
يشاء كيف شاء ولا راد لقضائه ولا مرد لحكمه وهو العزيز الحكيم وقد فحمت هذه
الصفات فيما يدع من الكائنات فينبأ كل شيء لا يتم الا بمشيئته فهو مستقل عن
كل ما سواه وهو غني عن العالمين لم يكن له كفواً أحد واما علاقته بالخلق فربى
انه خالقها وموجدوها واليه مرجعها ومصيرها ومع ذلك فانه حكم عدل لطيف
خير لا يتأخر كبيرة ولا صغيرة الا احصاها لا تخفى عليه خافية من اعمال العبد
وهو الذي يتولى جزاءه عليها ان خيراً الخير وان شرراً شر .

وفي صدد نظرية العدالة الالهية يؤكد القرآن في غير موضع ان اعمال
الانسان سواء كانت طيبة او سيئة هي مما كسبت يده وان ليس للانسان الا ما سعى
وان سعيه سوف يرى . ولذلك يكون قد اتي هذه الاعمال طواعية واختياراً وهو
بكامل حريته ومحض ارادته وهذا هو مفتاح الرد على مسألة حرية
اختلاف فيها كثير من علماء المسلمين والمسيحيين وحاولوا حلها بحلول مختلفة
بعضها عن بعض باختلاف طرائقهم ولكن ان هناك من يقول بان شعور
الخضوع والاستسلام الذي اخضع به الانسان فيما مضى يتناسب مع انكار حرية
الانسان المطلقة وان الحسنة والسيئة والجزاء والعقاب كله من عند الله وان ارادة

الإنسان لم تكن محل اعتبار فإن جمهور المسلمين الذين لا يرون في
إيمانهم غير هذا الرأي ويقولون: لكل إنسان الحرية فما يعمل وهذا ما
يؤكدته أيضا الإمام الشيخ محمد عبده .

لم يخلق الله الباب في وجه أحد من عباده حتى الأشرار منهم بل يسر
لكل القدرة والكفاية لعمل الخير وأما عباد الله القرآن الذين يمكن أن ينضموا
من يتعارض مع هذه الفكرة فمن السهل أن يفسرها كل من نجاه معرفة
الحجاز وفهم طرائقه وما يرى إليه وما مثل الإنسان في علاقته مع الله إلا كمثل
مسافر منفرد قد ضل طريقه في الصحراء فالتفت يبحث عن النور الذي توصله
إلى غرضه فمن كان اهلا لرحمة الله وأحسنه بفضل إيمانه وصالح أعماله قال
الله يكفئه فإن يهديه إلى سواء السبيل وأما قائل المشرك أنه يتخبط في
ضلاله دون أن يأخذ بيده وليس معنى هذا أن يكون الله هو الذي دفعه إلى
طريق الضلال والهلاك .

وهذا الله القادر الشديد العقاب هو الرحمن الرحيم بكل ما عباده بعين
وعاقبه فيعطي اليتيم ويهدي الضال وينيث الملوبف والمكروب هو صديق
الفقراء والمساكين هو السيد الجواد الكريم الغفور الرحيم وهو السميع المجيب لمن
دعاه العادل الذي لا يتصوره العقل ظالما بيده الخير وهو على كل شيء قدير
وإن رحمة الله هي إحدى للسائل التي تكرر ذكرها في القرآن وإن تسميته
بالرحمن الرحيم التي تبدأ بها كل سورة من سور القرآن لتدل دلالة واضحة على
أهمية هذه المسألة كما أن الرحمة الإلهية مكفولة لكل خالطه يندم على ما فعل
وباب التوبة مفتوح على مضراحيه لكل تائب ولو أن الله يعين بمذابه من
يشاء فإن رحمته وسعت كل شيء وقد كتب على نفسه الرحمة (سورة الانعام)

وقد أتى الحديث الشريف بثمة حجية لهذه الكلمات وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما قضى الله بمخلق العالم كتب في الاوح المحفوظ ان رحمتي غلبت غضبي وقال ايضا جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين جزءا وانزل في الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم المخلوق حتى ترفع الفرس صافرها عن ولعها خشية ان تصيبه.

هذا ومن صفات الله القدسة الحب فقد جاء في سورة آل عمران (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) كما ومن الاحاديث المستفيضة قول النبي (ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه وما يزال عتدي يتقرب الي بالتوافل حتى احبه فاذا احبته كنت ممعه القتي بسم به وبصره الذي يصير به ويده التي يبطش بها وان سألني اعطيته ولئن استعاذني لاعيذه

...

لا ريب في ان فكرة وجود الله واحد يتحلى باجل صفات ويشتره عن كل النقائص والافات قد لا تخطر لكل ذى عقل سليم اذ من المؤكد ان هناك من يقول بانها ليست فكرة اصلية وبأنها تشبه كثيرا الفكرة اليهودية والمسيحية بان الاسلام يأتي بشيء جديد لاظهار العلاقة بين العبد وربه ولكن ماقيمة هذا الاعتراض اذا كان محمد نفسه لم يدع انه جاء بافكار جديدة بل كان يقول في مراعاة انه مرسل من عند الله ليمهد دين ابراهيم الحنيف بعد ان غره اتياعه وبدلوه ومسخوه وحوروه ولكي يوطد تلك العقيدة القيمة النقية التي جاء بها ذلك النبي الكريم وتطرق اليها الفساد من بعده على مر الايام واكنى بكل وهو آخر الرسل ما ارسل الله به الانبياء السابقين .

جاء الاسلام في وقت كان الناس فيه منقسمين الى فرق وطوائف دينية
محاربة بعضها بعضاً وتدعى كل منها انها هي المستمسكة بحبل الله وحدها وانها
هي الفرقة الناجية

جاء الاسلام وصرح بان الدين واحد في كل الأزمان وان تعددت الرسل
وانه كان دائماً واحداً في جوهره وهو الايمان بان الله واحد أحد لا شريك
له يجب على جميع الخلق ان يأتروا بأوامره ويفتنوا بنواهيه وان يعملوا الخير
ويجتنبوا الشر وقرر ان الاشكال للتعدد والمذاهب المختلفة التي ظهر بها هذا
الدين كانت كلها من عند الله الذي شأته رحمته بعباده ان يعث لكل أمة
ديناً يفي بمحاجاتهم ويقبل التطورات تبعاً لتطورات الفكر البشري واخيراً عندما
بلغت الامم درجة النضوج الفكري وأصبحت في حالة تسمح لها بفهم التعاليم
الالهية التي لا تتحدث الى الحواس والمشاعر غسبية ولكن الى العقل والفهم
وعند ذلك ظهر محمد الذي يجمع الانسانية كلها حول هذه المبادئ الاساسية
وليضع حداً لمخلاقات وللنازعات التي كانت قائمة بين أهل الكتاب من يهود
ونصارى وبين قناس أجمعين طريق السعادة في الدنيا والآخرة .

...

أجمع المسلمون اهم الانفر قليل على ان الايمان بالله يسبق الايمان بالانبياء
والرسل لانه لا يمكن التصديق هؤلاء والكتب للفرقة عليهم اذا كانت النفس
البشرية لا تؤمن بوجود الاله وبمقدرته على ارسال الرسل واتزال الكتب
فذلك كان اول واجب على الانسان ان ينظر في خلق السموات والارض
ويفكر فيها حتى يصل الى الاقتناع بوجود الله فاذا ما بدأ بهذه المساعدة
وراصل البحث توصل لا محالة الى الايمان بالانبياء وبالكتب السماوية للفرقة

دل ان للمعزة التي تفوق كل للمعزات والتي وصلت الينا أخبارها
عن مصادر غير مشكوك في صحتها هي القرآن فانه كتاب لا يستطیع انسان
ان يأتي بمثله اذ ان كل عبارة من عباراته متزنة منسقة مشتملة على معان
كثيرة سهلة لتأخذ فلا هي كثيرة التفاض ولا هي بالغة حد الاسباب
والاطالة ولما كان اسلوب القرآن فريداً في بابه ولم يكن له شيل في
في الادب العربي فانه يقع من النفس البشرية موقفاً صحيحاً لا نصيب فيه ولا
اقتراء ولا تحويه ولا استكرام اذ ان آياته كلها على جانب نظم من النصححة
حتى ما كان منها خاصاً بالذواجر والنواهي التي يجب منطقياً ان تكون بأسلوب
عادي هادي كما ان سير الانبياء واصاف بده الخلق ونهايته وان حكمهم
وخصائص الله وصفاته كل ذلك يتكرر ذكره في هذا الكتاب العجيب باشكال
وصور متعددة ولكن دون ان يفقد شيئاً من دوعته ومكانته . وكذلك فان
الانتقال من موضوع الى موضوع في القرآن يحصل كثيراً ولكن بفنر ان ينسج
التعبير من مستواه ودون ان يقل حلاوته وكذلك فان التعمق وسلاحة التعبير
وهما صفتان يندر ان تجتمعا معا قد ظهرا متجليتين في القرآن وفيما عدا ذلك فان
كل صورة من صور البلاغة بعد تطبيقها كاملاً في القرآن فكيف اذن والحالة هذه
يمكن القول بان هذا الكتاب العجيب من عمل محمد الذي لم ينظم طوال ايام حياته
سوى بيت واحد من الشعر يدل على اية مقدرة شعرية وهو :

أنا النبي لا كذب : أنا ابن عبد المطلب

ولقد تحدى النبي قومه ان يأتوا بكتاب مثل القرآن او بسورة واحدة
منه (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا قاتوا بسورة منه - سورة البقرة)

ومم ان النصحاء بين العرب كانوا اكثر من رمل الصحراء فان اعداء الاسلام لم يستطيعوا ان يمارضوا النبي بشيء يشبه القرآن ولكنهم حاربوه بالسلاح ولم يجترئوا على محاربته بالكلام

وفضلا عن روعة الشكل وجمال الاسلوب الذين اختص بهما القرآن فانه لا يشبه كتاب آخر في مادته فانتفا فقرأ فيه نبؤات بحدوث مستقبله وقصصا عن حوادث مجهولة وقعت منذ اجيال بعيدة كما انه حوى اشارات الى العلوم المختلفة من دينية وديوية واجتمعت فيه كذلك حكمة لا يستطيع ادراك كنها اذكي الناس فهما واطول الفلاسفة باعا واعظم السياسيين حكمة

فلكل هذه الاسباب لم يكن من المعقول ان يكون هذا الكتاب من وضع رجل ابي غير متعلم قضى حياته كلها بين افلاس من الهيج الوثنيين بعيدا عن الاوساط العلمية ورجال الدين . رجل كان يرى نفسه كسائر الناس غير جدير بالانبيان بالمعجزات اللهم الا اذا كان ذلك بمون من الله القدير ولم يكن مثل هذا التكتات ليصدر الا عن وسم كرسية السموات والارض واحاط بكل شيء علما .

على ان هناك دليلا آخر على قدسية القرآن وهو انه قد بقي طوال هذه القرون المديدة التي مضت منذ نزوله الى يومنا هذا دون ان تنال منه يد بتغيير ولا تبديل وسيبقى هكذا الى ما شاء الله .

هذا الكتاب يتلى ليل نهار في كل انحاء العالم الاسلامي بنهر ان بسبب ابي مال او ضجر المسلم بل على العكس من ذلك فان تلاوته وتكراره مما يزيد في حلاوته ومحبتة وازدياد الاقبال عليه وانه ليوجد في قس قارئه وسامعه على السواء شمورا عميقا بالرحمة والاحترام وهو يحفظ عن ظهر قلب بسهولة

قادرة • وبالرغم من ضعف الايمان في هذه الايام فان في العالم في الوقت الحاضر ما يربو على مائة الف نسمة من حفاظه حتى ان في بلد واحد من بلاد القطر المصري يوجد من حفظة القرآن عدد يفوق كثيراً من مجيدين معرفة الانجيل في اوروبا كلها . فانتشار الاسلام اذن بهذه السرعة لم يكن بحمد السيف ولا هو من عمل البشرين والحاهم ولجأتهم وانما كان ذلك راجعاً الى ان القرآن القوي كان يتقدم به المسلمون الى الشعوب المغلوبة ويتركون لهم الحرية في الايمان به اذا شاءوا انما كان كتاب الله وكلامه الحق وكان هذا الكتاب اكبر معجزة قدمها محمد للارتاين في امر هذا الدين او المنكرين عنه .

هناك معتقدات سلم للمسلمون بها نظراً لاجماع السلف على صحتها وهذه للمعتقدات مضافة الى العقيدة الاصلية التي تنص على التصديق بوحدانية الله وبرسالة محمد ليس من شأنها ان تقف حائلاً دون العلم الحديث او تتعارض مع الحقائق الفلسفية . فالقرآن وان كان قد اشار الى حالة الكون الاولى ونشأته (او لم ير الدين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حياً — سورة الانبياء) فانه لم يقيد الفكر البشري بل ترك له الحرية في مواصلة السير في طريقه مطلقاً من كل القيود اما في صدد القوانين الطبيعية فقد اقتصر القرآن على القول بان الله قد قدر نظاماً للكمائنات الثابتة وبينما فرضت الديانات الاخرى على اتباعها مجموعة ضخمة من المعتقدات المسمرة التي لم تنجح ان الاسلام قد نهلت فيه البساطة والنورانية وكان ذلك مدعاة لسرعة انتشاره في ايام الفتح الاولى بين الشعوب التي كانت في اضطراب فسادها بحيث نظراً لما كان يساور نفوسها من الشكوك في عقائدها الدينية وهذا هو نفس السبب في استمرار انتشاره في هذه الايام بين ابناء الامم غير المتعلمة

— ٣٥ —

في آسيا وأفريقيا إذا نه نجه في التملل في نفوسهم الساذجة وعقولهم الفطرية
بدون حاجة إلى املالة شرح وتفسير ولا إلى تلقين للبشرين .

الفصل الثالث

حكمة شعائر الاسلام الدينية

بني الاسلام على قواعد خمس اولها شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ثم اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلاً.

هذه القواعد لا يصح لنا الحكم عليها بحسب ظاهرها والا كان مثلنا كمثل من ينظر الى الاصداف ولا يلاحظ انها مليئة باللاكي الثمين بل يجب النظر الى صميمها والبحث في جوهرها لاكتشاف ذلك السر القوي تسمو به نفوس المؤمنين وتطهر من الخبائث والارباب ومن ثم يتضح ان هذه القواعد توجه الناس جميعاً الى غرض مزدوج هو تقديس العباد لخالقهم وشكرهم له على اولاهم من النعم

عندما تدعوم كلمات تؤذن الى القيام برأبهم الديني الاول وهو الصلاة فانهم يذكرون الله جميعاً بلا استثناء ويذكرون اعمالهم الخاصة ومشاكلهم الدنيوية ويقولون على اداء هذا الفرض فيبدأون بالتسبيح لله ويحتمون صلاتهم بالتحنيات التي بوجهونها اليه ويشعرون في اثناء ذلك انهم مائلون بين يديه وعندما يضعون جباههم على الارض انما يظهرون شعورهم بالخضوع للطاق قوة الالهية ولكل كلمة وحركة في الصلاة عند المسلمين معنى خاص ليس من الصعب على العقل البشري ادراكه ولا يسمح لنا للقيام هنا ابانة هذه الامرار والاقاضة في شرحها

ولكننا نكتفي بالتقول بان الدقة والنظام في حركات الصلاة وما يصحبها من العبارات من شأنها ان تمنح المؤمن من ان يضل في مجاهل المادة وتترك له الحرية في اظهار شكره واخلاصه لربه كما ان ضرورة التوجه في الصلاة شرط مكة من شأنها ان نحفظ في قلوب المسلمين ذكرى ذلك المكان المقدس الذي اشرفت فيه انوار الايمان وان تمنح للمسلمين للتركز الذي تنتجه نحوه في كل وقت مشاعرهم المهيبة على عبادة الله واحد

وقد تكلم القرآن عن قيمة الصلاة كوسيلة لسمو الخلق وتطهير القلب « اتل ما اوحى اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تمنى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون — سورة المنكبوت »

على ان اهم شيء عند الله ليس هو ظاهر العبادة بل الاخلاص فيها وقد اوضح القرآن هذه الفكرة بجملة في سورة الحج « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » وهناك كثير من الاحاديث التي تؤكد هذا التقدير الالهي المخلصين ومنها ما معناه ان صلاة تقام في مسجد المدينة هي خير من الف صلاة الا ما كان في مسجد مكة لان الصلاة التي تقام فيه تساوي الصلاة التي تقام في غيره مائة الف مرة على ان الصلاة التي يقيمها الفرد في بيته خير من ذلك كله حيث لا يراه احد سوى الله ولا يقصد منها غير وجه الله

وليس من الضروري ان يؤدي السلم صلاته في معبد لان اي مكان من الارض تحت شمس السماء الله على شرط طهارته يصلح للصلاة فيه وليست هناك من حاجة الى قساوسة او قرايين او احتفالات دينية لسمو بقلب الرجل المشتاق الى مقام خالقه الكبير للتمتع

غير ان هناك شرطا ضروريا لا بد من توفره لكي تكون الصلاة صحيحة

وهو طهارة البدن التي تمنى طهارة النفس والملبس والمكان وقد اقر الاسلام
المادة القديمة الثاقمة وهي الوضوء واستن لها النبي نظماً دقيقة كنظم الصلاة ونظراً
لان القرآن لم يضع تفصيلات خاصة عن كيفيةها فان كاتباً كبيراً من كتاب
للمسلمين هو امير علي استطاع اليوم ان يتمسك بالبساطة العجيبة لهذه العبادة
بقية الوصول الى اعلى درجات الروحانية

أما صلاة الجمعة التي تشتمل على خطبة وعظية وعلى صلاة الجماعة فلها
فوائدها اذ يقربها بين المسلمين في عجمت واحداً يتجلى فيه خشوعهم وخضوعهم
لله تعلمون يشعرون جميعاً بأنهم اخوان وبأنهم كلهم عبيد لله ولما كان من شأنها
ان تلزم المسلمين بان يتبعوا جميعاً امامهم في حر كانه وسكنااته فانها تعودهم الطاعة
والنظام وبالخطبة تفتح قلوبهم لتلقي المبرة وللوعظة الحسنة .

اما فريضة الصوم التي تشمل الامتناع عن الطعام والشراب والتدخين
والجماع في ساعات النهار طوال ايام شهر رمضان فانها مدرسة للنظام والرحمة
والاحسان لانها لما كانت تعبر المسلم على الامتناع عن التمتع بكل لذات الجسد
في فترة محدودة فانها تعلمه كيف يكبح شهواته ولما كانت تذيبه آلام الجوع
ومتابعه فانها تبيث في قلبه الرحمة والشفقة بالفقراء والساكين ولما كانت تجعله
اكثر استعداداً لتقدير ما ملكت يده من النعم فانها تجعله على الاكثار من
شكر الله المنعم .

واذا كان الصوم واجباً على الرجال الاقوياء الاصحاء فقد اعفى منه الضعيف
والمرضى والسافر والمجاهد في سبيل الله وللرأه الحائض لان الله لا يريد ان
يرهن عباداً للؤمنين ولا ان يكلفهم بما هو فوق طاقتهم .

اما الزكاة فقد اعترفت كل الديانات بفضائلها الادبية والاجتماعية واكدت

انها وسيلة لنيل الخير من الله ولكن للاسلام وحده كل الفخر بان جعلها فرض
عين لازم الاداء ووضع تعاليم للسبيح بصدها في صينة اوامر واجبة الاتباع
اذ فرض على كل مسلم ان يساعد بمجهز معلوم من ثروته على اسعاف الفقراء
وللدينين للفقسين وللسافرين والغرباء وابن السبيل وغيرهم وفي قيام السلام بهذا
الواجب للقدس ما يقوي في قلبه الشعور الانساني ويظهر نفسه من الشج
والبخل ويفرس في قلبه الامل في نوال الأجر والثوبة من الله .

اما الاغراض الخفية في الاسم الواجب على كل مسلم توفرت فيه شروط
معيّنة بان يؤدي فريضة الحج ولو مرة واحدة في حياته فان لهذه الاغراض
أسراراً لا يتأتى للعقل البشري ادراك كنهها ولكن اكثرها قرباً لفهم قد دل
على حكمة بالغة وليس لاحد ان يتجاهل الفائدة التي تعود على الاسلام من
اجتماع المسلمين الذين يندون الى مكان واحد من جميع انحاء العالم من عرب
وفرس وافغان وهنود وجاويين ومناوبة سودانيين ومصريين وغيرهم الى هذا
المسجد المقدس بقصد الحصول على الرحمة والمغفرة من ربهم . ولما كان اجتماعهم
هذا من شأنه ان يجعلهم يتعارفون قائم بذلك برتبطون بروابط المودة والاخاء
ويكتفي ذلك للظهر الذي يرى فيه السلم ولو مرة واحدة في حياته زوال الفوارق
بين الغني والفقير وبين السائل والامير اذ ان المسلمين اثناء الحج يرتدون كلام
ثياباً بسيطة من نوع واحد فيتجردون من حليهم وزخارفهم ويهتفون جميعاً
بكلمة واحدة هي « الله اكبر » وكل ما يقوم به الحاج من الشاغل هو الطواف
حول بيت الله والاجتماع في جبل عرفات والتضحية في منى وهذه الشاغل نهي
في نفسه ذكرى الانبياء والاولياء الذين وفدوا الى هذا المكان المقدس ونهتد
له ذكرى ابراهيم الخليل وولده المحاميل وامرأته هاجر وتبعث في قصة الرحبة

في الاقتداء بهم في التقوى والخضوع لمشيئة الله .

وان الحكمة الالهية لتتجلى ايضا في الناحية التي نعتبرها سلبية في القواعد الخاصة بالحج وهي التي تميز الشرائط اللازم توفرها في الشخص لكي نجيب عليه فريضة الحج شرعا هذه الشرائط هي ان يكون حرا ورشيدا وقادرا على مصاريف الحج وعلى تكاليف أسرته اثناء غيابه وان يكون الطريق آمونا وقصارى القول ان الله لم يفرض على المبد القيام بعبادات منهكة لقواه وفوق طاقتة ولم يضم لاية واحدة من هذه العبادات قواعد شاقة عسره (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر — سورة البقرة) وقوله (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) (لا يكلف الله نفسا الا وسعها — سورة البقرة) وقوله (يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا — سورة النساء) وفي معنى هذه الآيات البينات قول النبي (ان هذا الدين يسر)



الفصل الرابع

سمو الآداب الإسلامية وأثرها

أراد بعض الكتاب الغربيين أن يحط من قيمة آداب الدين الإسلامي قائمونها بأنها مذلة للنفس البشرية نظرًا لتشبعها بروح الطاعة والخضوع المطلق لللاهوتية كما يدل على ذلك اسم الإسلام نفسه وقالوا أن الرجل الذي يشعر بعبوديته لله ويستسلم له كل الاستسلام لا يمكنه أن يشعر بأنه حر فيما يأتيه من الأعمال الصالحة ولا يكون في حالة من يحس بأنه أمام الله سيد مطلق الحرية والإرادة والضمير . وقبل أن نتحدث عن الأفكار اللاهوتية السامية التي تنتش بها نفوس أتباع محمد نرى من واجبنا أن نرد على ذلك الاتهام بكلمات واضحة هو العلامة جولدزهر الذي يقول : أن قوة اعتقاد المسلم بخضوعه لله ثابت وإيمانه برفعة الكائن الأول ليست بمانعة له من التقرب إلى الله بالفضيلة والإيمان والعمل الصالح ومن الطمع في رضوانه والدخول في رحمته ومتى دست هذه الديانات أي تأثير في قلب عبد صالح تلج الضمير معمور من بالإيمان مقر بالمعجز والانكسار فحولته عن التعظم بكل خشوع وخضوع إلى مدن كل قوة وينوع كل كمال ...؟

ليس من شأن الإسلام فقط أنه لا يحول دون الوصول إلى الكمال الخلقى ولكنه في ذاته قوة فعالة موجهة نحو الخير ولا يقل في ذلك عن بقية الديانات الأخرى للقرن بلوحداية والتي اعترف محمد بأن أنبياءها هم أساتذته ومعلموه

على ان الاسلام قد يكون من بعض الوجوه اوفر منها قسطا في هذا السبيل لانه وقد قدر الضعف الانساني حق قدره دعا للمؤمنين الى اتباع مثل من الممكن اتباعها وبذلك تفتح اكثر من تلك الديانات في الوصول الى غرضه من تهذيب النفوس والسمو بها الى ذروة الكمال التدمي فالغضائل التي حثت عليها الديانتان الاسرائيلية والمسيحية وجملتها حاداً أذعنى لاسمو الخلق لم يهملها الاسلام بل امر باتباعها كالرحمة والاحسان والصنع والغفران ودمانة الخلق والامانة في المعاملة والصبر على احوال المكابيه وما الى ذلك .

ولقد اشتمل القرآن على كثير من الآيات التي تخص على فعل الخير وفي استطاعتنا ان نفترق منها جملة ايدينا ولكن لما كنا لا نرغب في التوسع والاسباب في هذا الباب فسنكتفي بذكر بعض منها كقول الله تعالى في سورة اليم (وما ادرالك بما العقبة فك رقية او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة) وكقوله في سورة الليل (فانفرتكم نارا تظلى لا يصلها الا شقى الذي كذب وتولى وسيتجنبنها الاقى الذي يؤتي ماله بزكى وما لاحد عنده من نسمة فخرجه الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى) وقوله في سورة الانسان (ويطمعون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وقوله في سورة آل عمران (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للذين آمنوا بنفقون في السراء والضراء والكافطين النيظ والءافين عن الناس والله يحب المحسنين) وقوله في سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل للشرق والغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر واللائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوقه القريب واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام

الصلاة وآتى الزكاة والوفون بهدم اذا عاهدوا والصارين في البأساء والضراء
وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون (وقوله في سورة لقائه
(وقمونا على البر والتقوى ولا تمونا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان
الله شديد العقاب) .

وكما ان الاسلام قد اكثر من اطراء الرحمة وتزكيتها فانه قد اشاد كذلك
بأعمال البر والاحسان التي هي ثمرة من ثمار رحمة الانسان بلخيه الانسان
كما دافع في كثير من الشفقة والحنان عن اليتيم والمسكين والذليل والنكوب
وجعل الاخاء والاحسان اساسا لبناء الهيئة الاجتماعية والانسانية ولمرعي ان
هذا لتقدم كبير اذ لو قارنا المصور الاسلامية بالمصور الوثنية لوجدنا بونا
شاسما وفرقا هائلا بينهما لان في المصور الوثنية بشادة الكثير من آهي القرآن
كان الحكم يدفعهم الكبرياء والطمع الى احتقار الفقراء وغلظهم وكانت هواؤهم
وشوائهم متحركة بأعمالهم وكانوا لا يأبهون بأبسط واجبات الرعاية نحو
رغاياهم وتكتفي بذكر آيتين اثنتين من بين آهي القرآن الكثيرة التي نزلت
في الحضي على اقامة قسطاس العدل والانصاف (فاحكم بين الناس بالحق ولا
تبعم الموى فيضلك عن سبيل الله ... سورة ص) و (ان الله يأمركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها واذا حكتم بين الناس ان تحكوا بالعدل سورة
النساء) وفي استطاعة كل انسان ان يقدر الشعور الانساني العميق الذي يتجلى
في هذه الاية (وقضي ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يلين
ضدك الكبير احدهما وكلاهما قلائل لما انف ولا تنهر ملو قل لما فولا كرماء واخض لهما
جناح القل من الرحمة وقل رب ارحهما كما ربياني صغيرا ... سورة الاسراء)
هذا ولم يجل القرآن من ذكريات الايات التي تذكرنا بتعاليم الانجيل التي

تعتبر عند المسيحيين من امضى واثن الوصايا الاخلاقية في دينهم ومن هذه الايات (ادفع بالتي هي احسن ... سورة المؤمن) وفي مقدورنا ان نوالي مرد المبادئ الاسلامية القوية وان فيض في الكلام عنها ولكننا نجتزئ به بذكر احد هذه المبادئ وورد ذكره في القرآن اكثر من مرة وهو اشد اثرا في نفس المؤمن واكثر دفعا لها الى فعل الخير الا وهو للبدأ القائل بان الحياة الدنيا ان هي الا نواة للحياة الاخرى وان العمل الطيب في هذه الدنيا يضمن السعادة الابدية في الاخرة وان لا سبيل للتقرب الى الله الا بطهارة القلب والاخلاص في العمل وان كل انسان يجزى عما فعل ان خيرا فخيروا وان شرا فشر كقولهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . . سورة الزلزلة) وقوله (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة يضادها ويؤت من لده اجرا عظيما . . سورة النساء) . كما انه قد توعد الاشرار بعذاب اليم في آيات تنطلي في خلال حروفها واما الصالحون الابرار فان الله الحكم العدل سيمنهم من مراقبهم مرة اخرى ويشملهم بعله واحسانه واما الاشرار والفسجار الذين اعرضوا عن النبي ولم يستجيبوا لدعائه فيمنعهم الله عذابا شديدا ويلقى بهم في نار جهنم .

ونرى هنا من للناس ان نرد على تهمة وجهنا الكافرون الى الاسلام وهي انه وعد اتباعه الجنة قواما للذات والشهوات الجسدية من حور عيون وولدان مخدنين وانهار من لبن وعسل معنى لغة لشاريين ومن فواكه وثمار ياتمة الى غير ذلك من اللذائذ الدنية ولم يفهموا ان ابناء الصحراء لا يمكن ان يوعدوا بلذائذ روحية يستمتع عليهم ادراكا ولذلك كل من الضروري ان توصف لهم الجنة ونعيمها وصفا ملفوسا في بعض عبارات بسيطة حتى اذا ما

تطورت النفوس والافهام بعد ذلك امكن التحدث عن عبادة الله بالخضوع
لقدرته والمحبة لذاته ولهذا كان من الاقتراء القول بان محمدا واتباعه قصدوا الى
مما في هذه الاوصاف بالذات لانهم هم باعيانهم قد اكتشفوا ان هذه الاوصاف
احسن وقعا واعنى اثرآ في تلك النفوس

ويرى الامام الغزالي ان احسن المذات هي في تعجلي النفس في الحضرة
الالهية عندما يزاح الستار الذي يفصل بين العبد وربه عندما تتجلى العظمة
الالهية بأكملها وبهجتها . وتميزنا لفكرة لذات الجنة يروون عن النبي
انه قال ما معناه : ان اكرم الناس عند الله هم الذين تتجلى لهم عظمتهم آتاه الليل
واطراف النهار فيتمتعون بلذة تفوق كل ملذات الجسد

ولكن ما هو ذلك المعيار الذي سبزن به الله اعمال عباده هل سينظر الى
مظهرها الخارجي ونتائجها كلا فان القرآن يقول في صراحة ان الله ينظر الى نية
العبد التي بنيت عليها تلك الاعمال والتي تتخذ مقياسا للحكم عليها وان العمل
الذي يتم طبقا لشريعة لا تكون له قيمة كبيرة عند الله اذا لم يكن مقرونا
بالاحسان وصفاء النية لان الانانية والرياء يفسدان كل عمل صالح وقد لوحظت
هذه الفكرة نفسها عند الكلام على شكلية اقامة العبادات وسنراها هنا ثانية في
تقدير اعمال الانسان لان العبادة يجب ان يراعى فيها الاخلاص (وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ... سورة البينة) كما ان قلب الانسان
يجب ان يكون سليما (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ...
سورة الشعراء) و (قل امر ربي بانقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه
مخلصين له الدين ... سورة سبا)

اما الكبرياء والتفاق فقد شدد الاسلام التذكير عليها الى حد اعتبارها مصورة

من صور الاشراك بالله ويرى بعض الكتاب ان من اجتمعت فيه هاتان
الذيلتان انما يحاول ان يشارك الله في صفة عظمته بنية الحصول على احترام
الناس له وتمظيمهم لقدره

وللإسلام الفضل في تفسير مسألة طالما تحيرت الالباب في فهمها وادراك السر
فيها وهي لماذا يرى في هذا العالم اناس من الاشرار والكفرة يتمتعون بالثروة
والجاه ويحرمها غالبا المخلصون الابرار الذين كثيراً ما يستهدفون للمصائب
والويلات . يقول الاسلام حلال هذه المصلحة ان الله يهل المعصاة والظالمين ويهد
لهم في اسباب طغيانهم وربما تركهم وشأنهم طول حياتهم ولكنهم سوف يلقون
جزاء ما قدمت ايديهم يوم يقوم الحساب واما عباده المخلصون الذين ابتلاهم
بالمصائب في هذه الدنيا فسيكافئهم في الدار الآخرة على صبرهم ورضاهم باحكامه
وبشر الصابرين الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المتهنون... (سورة البقرة)

على ان اجمل تعريف لرحمة والاحسان والقواعد الحقة السامية قد تضمنتها
الاحاديث النبوية اذ ان للعلوم ان كثيراً من آيات القرآن قد تم تفسيرها بتلك
الاحاديث وكانت غير كافية بذاتها لتنظيم الحياة الانسانية بما يرافقها من
عوارض وملاسات فلاقت ما ينميها في طائفة من الاحاديث النبوية ولا يهملنا
كثيراً ان يكون بعض هذه الاحاديث مكتوبة في صحفها لانها اذا لم تكن
صادرة عن محمد نفسه فانها تمثل نفسية الأمة الاسلامية القديمة التي افردت فيها
روح الاسلام الحي ولانها تشير الى عادات هذه الأمة وافكارها وامالها ويستطيع
القارئ ان يلحظ جمال هذه الاحاديث التالية وهي دال على السعي على الارملة
والسكين كالجهاد في سبيل الله او كالذي يصوم النهار ويصوم الليل ومن

وضع يده على رأس يتييم ترعها كانت له بكل شجرة تمر عليها يده حسنة
ولكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة بحبة الصنار والفقراء ولا يؤمن أحدكم
حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

ولعل اطرف شيء في هذا الموضوع ما حكى عن رجل اعتنق الاسلام في
زمن النبي انه قال وعظني النبي بسبعة أشياء اولها ان احب الفقراء واقرب
اليهم . (٧) انظر الى من هم دونك ولا تتطلع الى من هم اعلى منك (٣) استعن
عن الناس (٤) اخلص لاهلك ولو خاصموك (٥) قل الحق دائماً ولو كان مرا
(٦) لا تأخذك في الله لومة لائم (٧) قل دائماً لا حول ولا قوة الا بالله لانها
كنز من كنوز الجنة

ولما ادخلت الاراء الصوفية فيما بعد على الديانة الاسلامية ووضع الملم
النفس البشرية مثل اعى للحياة بقول بان كمال الرجل وسعادته يتوقفان على
الجهود التي يبذلها في تكليل نفسه وتجميلها بصفات الله والتحلي بمجوهر حقيقتها
وفي الاحاديث تتجلى الحجة التالية وهي من فضائل الاسلام الخاصة وتبين ان
رحمة الله ليست وقفا على الناس دون سائر المخلوقات اذ روى عن النبي انه
قال (اذا سافرت في الخصب فاصطوا الابل حفظها من الارض واذا سافرت في
السنة فاسرعوا عليها السير واذا احسستم بالليل فاجتنبوا الطريق فانها مأوى
الموادم) وقال من لا يرحم لا يرحم وقال والشاة ان رحمتها يرحمك الله

واذا كان الاسلام قد بين لبني الانسان سبيل النضيلة بطريق القرابين
والسنة فانه قد راعى حاجات الطبيعة الانسانية ولم ينس ضعف الانسان عندما
غرض عليه العبادة واذا رسم للرجل كالا خلقيا وحته على بلوغه والتخلق به
فانه لم يتجاوز حد الحقيقة والامكان ولم يطلب اليه حتى التحلي بنضيلة لا يتيسر

ادراكا الا لغير قليل من الذين اصطفاهم بل وضع مبادئه طيبة للحياة تنضح
مزايها العملية المعجية عند تطبيقها .

واذا رسم الانسان امثلة الامانة والاستقامة فانه لم يعتمد عن قوا ابن
الحياة ولم يخالف الطباع البشرية التي احل لها التمتع بالقدائد الشرعوه ولم يفصل
بين حياة المرء الدينية وبين بقية العالم وانما قصد الى ايجاد هيئة اجماعية يكون
الفرد فيها عضوا عاملا وخادما لله في وقتها .

ويرى الاسلام ان استخدام المرء لقدرة التي وهبها له الله في القيام باعباء
الحياة يعتبر من قبيل الشكر والامتنان لله على هذه الهبة كما ان التمتع بما في الحياة من
النعم التي اوجدها الله لعباده كافة ليس في الاسلام بالامر المسموح به فحسب بل
هو واجب محتم على المبدى ما لم يكن في هذا التمتع ما يضر به او يغيره من
الناس وقد قال تعالى (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعنوا
اذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله
بصير المحسنين — سورة للتائدة) وقوله (قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق) — (صوره الاعراف) وفي الحديث خاصة ما
يدعم مبادئ الحياة الصحيحة ونحن نكرر هنا ما سبق ان قلناه بصدد الاحاديث
التي تعبر عن اهمى الافكار الخلقية ولا يعنيها اذا كان بعض الناس قد طعن
في صحة هذه الاحاديث اذ ان اغلبية العالم الاسلامي اصبحت في زماننا هذا
تعتمد بصحتها والتمسك بما اشتملت عليه من المبادئ ومن بين هذه الاحاديث
ما يقول (لا رهبانية في الاسلام)

وفي الواقع ليس مما يسر الاسلام في شيء ارهاق النفس بالزهد والتقشف .

واضناء الجسد ولا مداومة الصوم ولا القيام عامة الليل ولا حياة العزوبة ولكن
 يمجبه ان يعيش الانسان مبيشة وسطا فيؤدي واجبه نحو ربه من جهة ومن
 جهة أخرى لا يهمل واجباته نحو بدنه واسرته ونحو الهيئة الاجتماعية التي يعيش
 فيها وقد ورد في الحديث قول النبي (ليس بخيركم من ترك دنياه لا آخرته ولا من
 ترك آخرته لدنياه حتي يصيب منها جيمها فان الدنيا بلاغ الى الآخرة) ولا تكونوا
 كعلاء الناس (وبلغ النبي ان فرأ من الصحابة منهم عبد الله ابن عمرو وعثمان
 بن مظعون وآخرين قد نذروا على انفسهم صوم النهار وقيام الليل وهجروا الطيب
 الحياه بما فيها النساء فخطب النبي عبد الله : ألم اخبر انك تصوم النهار وتقوم الليل
 ولا تأكل اللحم ولا تقرب النساء ؟ قال بلى قال لا تفعل اتي اصوم وافطر
 وانام واقوم واقرب النساء فن رضب عن ستي فليس مني . وقد نزلت الآية
 بهذا المعنى : (يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تمتدوا
 ان الله لا يحب للمتعتدين) وسأل احدهم النبي هل تصدق بشعر ماله فقال لا التث
 والتث كثير انك أن نذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكفون الناس
 اما الزهانية فقد اشتد الاسلام في الحملة عليها واستنكارها لانها تنافي السنة وقد
 روي عن النبي انه قال النكاح سنة من رضب عن ستي فقد رضب عنى

اما شرائط التولية التي اشترطها الاسلام للحياة فتدل على حكمة بالغة وها
 نحن اولاء نجد اليوم في الغرب صراعا عنيفا حول تعريم الحرام كما نرى القيود
 التي وضعتها الحكومات المختلفة لابطال الميسر قبل هناك من مجترى على ان
 يلوم الاسلام على اخلاقه هذين البابين الذين هما من ابواب الشر والضرر
 بالثروة والاخلاق . واما الاقتصاد فانه من الفضائل التي حث الاسلام على اتباعها
 وليس الامر قاصرا على ذلك فانا نرى في القرآن الى جانب تحريم الميسر

جلات صادقة على كسب المال من طريق الرباه فيالها من حكمة الهية تلك التي
حرمت اكتساب الاموال من طرق غير مشروعة

ان الناس لتتلف على دين يتفق وحاجاتهم ومصالحهم الدنيوية ولا يكون
قاصراً على ارضاء مشاعرهم واحساساتهم ويريدون ان يكون هذا الدين وسيلة
لامنهم ولطمأنيتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة وليس هناك من دين تتوفر
فيه هذه الزايا كلها بشكل رائم سوى دين الاسلام اذ انه ليس مجرد دين
فحسب بل ان فيه حياة قناس لانه يطهم كيف يحسنون التفكير والكلام
وبعضهم على فضل الخير وصالح الاعمال ولذلك سرعان ما شق طريقه الى القلوب
والافهام .

الفصل الخامس

الاسلام والمدنية

ان ديننا لا يقتصر على كونه نظرية تتفق واماني الطبايع البشرية ولا على كونه مجموعة من القواعد السامية والتعاليم الرفيعة التي يمكن اولا تطبيقها بل يمتاز الى جانب ذلك بان يكون دستوراً للحياة يضم فصول الاخلاق على اساس قياسي وضي . ويمن بمقتضاها واجبات الانسان نحو نفسه ونحو غيره وفقاً لقواعد صريحة قابلة للتطور ولتقدم الافكار باوسع ممانى لتتقدم وبعد لكل قانون من قوانينه هذه جزاء الهيا عادلاء — لمو دين يستحق منا كل اعجاب وتقدير واجلال وذلك بفضل ما له من جليل الاثر في تهذيب الناس ولا سيما الجهال وغير المتقنين الذين ليس لهمارات للتنطقية وللواعظ الاخلاقية في نفوسهم كبير اثر اللهم الا اذا كانت مفرغة في صين الاوامر والنواهي ومشفوعة بما يقابلها من وعد او وعيد

هذا هو الاسلام الذي قدران النفس البشرية احوج الى الاقياد للسلطة منها الى اللواعظ والباديء التي ليس من السهل ادراكها ونحدث الى الناس في صيغة الامر من لدن السلطة الملوية المطلقة وكان هذا سرّاً من اسرار نجاحه واتساع سلطانه فقد اقام في بلاد العرب دولة فتية قوية متعددة على اساس خلقية ثابتة بعد ان كانت فكرة الدولة كوظيفة عامة محبوبة من العرب كل الجبل وبعد ان كانت الفوضى ضاربة بينهم الحنايا والهمجية سائدة في ديوهم

بحيث لم تكن السرقة والقتل جريمتين مجازيا عليهما اللهم الا اذا كانت اسرة القتل عندها من القوة والقدرة ما يمكنها من الاخذ بثأر قتيلاها. ولم يتسن هذا للاسلام الا لانه كان دينا وقانونا في وقت مما

ليست الشريعة ذات صبغة دينية فحسب وانما عنيت الى جانب ذلك بوضع نظم وقوانين لظروف الحياة الخاصة والحياة العامة تمثلت فيها كل فروع الحياة التشريعية

ونظراً لان الايات القرآنية القليلة التي تناولت التشريع جاءت في صبغة عامة ولان السنة التي هي تفسير واسم للقرآن لم تكن كافية لحل كل مشاكل الحياة المختلفة فان للمشرعين عندما ارادوا وضع القوانين لهذه الحالات المتعددة لم يروا بداً من أن يشوا في العالم الاسلامي ذلك للبدا القائل ان اجماع المسلمين او بالاحرى علمائهم الموثوق بعلمهم هو حكم صحيح يجب اتباعه والاخذ به وقد قال النبي (لانجمع امتي علي ضلالة) فكل ما قال الاجماع بصحته وعده يجب ان يكون صحيحا وعدلا وما اجدر قاعده وضعت علي اساس اتفاق كهذا ان واجبة محتملة

وكما ان ذلك الاجماع كان مفتاح العقد لتطور الاسلام التاريخي فانه يكون كذلك سببا في تطوره في المستقبل وتقوية دعائمه كما صرح لفنائس الحكم التي اشتملت عليها قوانين الامم الاخرى فيما لا يتعارض مع القرآن بان تندمج في الشريعة الاسلامية ونرى ان هذا الاجماع سوف يتغلب على الفتور الذي اصاب العالم الاسلامي في العهد الاخير (على ان بشائر نهضة المسلمين قد اخذت في الظهور) وسيكون هو العامل الذي سيسمح للاسلام بالانتعاش مرة ثانية والقيام بمحاجات المصور الحديث .

بفضل هذا الاجماع تيسر الشريعة الاسلامية ان تزود بالقوانين التي كانت موجودة عند كثير من الامم الاخرى قبل الرسالة المحمدية ولما كان لهذه القوانين قيمة لا يمكن انكارها قاتنا لن نهمل الاشارة اليها كما اننا لن نتردد في ذكر محامد القوانين التي اوجدتها الشريعة الاسلامية والتي لم يهرؤ احد على انكار فضلها وسنقتل على اثر ذلك الى بحث النظم الاجتماعية والاوامر الخاصة بالاسلام والى الدقاع عنه ضد ما وجه اليه من الحلات من غير المسلمين .

وضع القران قليلا من القواعد في صيغة النصوص القانونية وترك لاتباعه الحرية في ان يضعوا لانفسهم النظم التي تنفق مع زمانهم واحوال بلادهم فيا لذلك من برهان على رحمة الله وعظيم لطفه بهباده .

وقد وضم تدابير محكمة لتحديد الزواج بان قرر ان لا يقترن الانسان بأمرأة تربطه بها اضييق روابط القرابة او للتصاهرة وهذا مالا اعتراض عليه من جانب غير المسلمين ولكن الامر الذي تقوم اليوم ضجة كبيرة حوله هو تعدد الزوجات الذي اباحه القران بشروط معينة ونحن وان كان في استطاعتنا ان نتحدى هؤلاء المعارضين الذين لم يظهروا باي شكل من الاشكال ما هو ذلك الخطر الاجتماعي الجسم ولا ما هي العرائيل التي يضعها تعدد الزوجات في سبيل التقدم الا اننا لا نريد مطلقا ان نقل المناقشة الى هذا الميدان ونكتفي بان نلفت انظارهم الى ان في بعض فترات التقدم الاجتماعي ظهرت حالات خاصة نذكر منها على سبيل المثال خسائر كبيرة في الرجال تقع على اثر حرب من الحروب افلا يكون تعدد الزوجات والحالة هذه امرا ضروريا لا محيد عنه ولماذا لا ننظر الى تعدد الزوجات الا بالعين التي تراه بها المصور المتأخره مع

ان تعدد الزوجات لم يكن معتقداً به من العرب فحسب يلومون الشعوب
الآخريه وان القانون الاسلامي الذي يلوح اليوم انه كان
اوسع في هذا الميدان واكثر تساهلاً من غيره قد وضع له حدوداً وقيوداً ضيقة
يعد ان كان حقا سائفاً لكل احد بنير قيد ولا شرط وحرم عدة صور من
الزواج كان الاجدر بها ان نسمى بالزنا القانوني كالزواج — شرط معين
او زواج للثمة كما منح الزوجة حقوقاً عظيمة لم تكن تعرفها من قبل — كل هذا
نستطيع ان نبينه بمبتهى السهولة اذا لم تكن مضطرين لان تقدم قاريهه جانباً
آخر للموضوع يحيل اليها انه ام من ذلك بكثير

أحل القرآن للرجل ان يتزوج ثني وثلاث ورباع ولكنه وضع شروطاً
ضرورياً لمثل هذا الزواج وهو عدالة الزوج الكاملة بين نسائه على ان كلمة
العدالة هنا لم يقصد منها المساواة في المعاملة للمادية فحسب ولكنها تنصرف كذلك
الى المحبة ولليل البين اذ قال « فانكحوا ما طاب لكم من النساء ثني وثلاث
ورباع فان ختمت الا تعدلوا فواحدة » وعقب على هذه التعاليم بالجزم بان مثل
هذه العدالة ضرب من الحال حيث قال « ولن نستطيعوا ان تعدلوا بين
النساء ولو حرصتم — سورة النساء »

يستنتج من ذلك منطقياً ان تعدد الزوجات وان كان قد ايسح صراحة
الا انه قد منم اشد اللع ضمناً وذلك لصعوبة القيام بالشروط المطلوب توفرها
ويقول الزهراوي واهير علي وغيرهما ان هذه الآية تتضمن اللع الصريح هذا
ولا يجب القول استناداً الى حالة الرسول الخاصة لان تعدد الزوجات امر
مقبول عند الله فشتان ما بين الرسول وما بين غيره من الناس نظراً لما اختصه
الله به من المدلل والافاض .

اما اعداء الاسلام فقد ارادوا ان يظهروا النبي في صورة رجل شهواني
 اباحي بان اتفقوا من زيجاته للتمتدده حجة لانها به بضمف خلقى لا يتفق
 ومركز النبوه ولكن قاتهم امر هام لم يحسبوا له حساباً وهو ان النبي أيام فتوته
 وعنفوان شبابه لم يتزوج الا من امرأة واحدة وهى السيدة خديجة التى كانت
 أسن منه بكثير واحتفظ لها في اثناء الحس والشرب سنة التى عاشها فيها
 بكل محبة واخلاص ولم يتزوج من غيرها حتى ماتت مع انه كان يعيش بين
 قوم سادت فيهم كثرة الطلاق والزواج وكان يندر ان يقتصر الرجل منهم
 على زوجة واحدة . ولما فقدها وكانت سنة حين ذلك خمسين سنة تزوج من
 أخرى كما عقد زيجاته المختلفة التى كانت في أغلب الاحيان لدواع اجناعية
 او سياسية لانه كان يريد بهذه الطريقة ان يكتسب الى صفه رجالا اقبيا
 او نساء قيات ويرتبط بروابط الصاخره بأمر قوية من القبائل المختلفة وكان
 كل ذلك بقصد نشر الاسلام . فكان يتزوج احياناً من نساء لسن على
 جانب كبير من الجمال او لسن أصغر منه سناً فهل يمكن القول مع ذلك بان
 مثل هذا الزواج كان عن هوى او شهوة .

ولقد كان مدفوعاً أيضاً على زيجات مختلفة (لانه كان رجلاً ولم يكن الها)
 برغبته في الحصول على ابناء لان كل ابناء الذكور الذين وزعهم من خديجة
 ومارية التبعية كانوا قد ماتوا عن آخرهم فاخذ على نفسه حينئذ عب القيام على
 امرة متعددة الافراد رغم قلة موارده ولكنه كان دائماً يراعى العدالة للتمامه بين
 جميع نساؤه ولم يستعمل ضد احدها ما هو محمول ولغيره من حق الطلاق ومم
 هذا فانه لم يخرج عن سنة الانبياء السابقين موسى وداود وغيرهم الذين لم يترك
 احد في ان يأخذ عليهم تعدد زوجاتهم فهل كان ذلك لانه تنقصنا من حياتهم
 اليومية تلك الانباء الخاصة التى ترينا عن كتب اعمال محمد ومشاعره في اخن

حالانه العائلية .

وعما يؤسف له كل الاسف ان الناس لم يلتفتوا فيما مضى الى الشطر الثاني من تلك الآية القرآنية التي تدعو صراحة الى الانتماء الى زوجة واحدة واخذوا بالشق الاول وحده الذي كان يسمع لهم باشباع شهواتهم واهوائهم واستغلوا المنحة التي منحت لهم دون ان يفكروا في تفسير الآية القرآنية كالمجب ومع ذلك فقد اخذ تعدد الزوجات يتلاشى تقريبا في العالم الاسلامي وعلى الاخص في تلك البلاد التي ازدهرت فيها المدنية وسادت فيها ارق المشاعر الاخلاقية

...

وقد اباح القرآن الطلاق وما هو ذا العالم العربي قد اصبح لا يرى بأسا من الطلاق بل يراه ضرورة من ضرورات الحياة فاندمج في معظم قوانين البلاد المتقدمة وكان في طوقنا ان نوفر على انفسنا مشقة الدفاع عن الاسلام الذي احل الطلاق لولا انه اتاح لنا الفرصة للاشادة بعمل محمد كصلاح اجتماعي كبير والمقارنة بين ما كانت عليه الحياة العربية في الجاهلية وبين ما صارت اليه بفضل الاسلام فكان الطلاق قبل الرسالة امرأ ميسورا جدا عند العرب بحيث كان الرجل يرد الزوجة الى اهلها بكلمة واحدة او بمجرد اشارة يؤديها كما كانت الزوج اذا شئت ان تنضم عروة الزواج بينها وبين زوجها ادارت باب خيمتها الى جهة مضادة للجهة الاصلية وكان هذا كافيا لموقع الطلاق ولكن القرآن وضع لطلاق قواعد وحدودا ليس من شأنها ان تسمح بمنته فقط ولكنها تكاد تحرمه تحريما لان الرجل بعد ان يتفق بصيغة الطلاق تظل زوجه مدة محدودة - هي مدة العدة - في منزل عنه ولكن تحت رعايته وليس لها ان تتزوج من غيره

حتى انتضاء المدة ويستطيع هو ان يبديها الى عصمته في خلال هذه المدة . هذا اذا لم يكن الطلاق ثلاثا او اذا لم يكن قد وقع ثلاث مرات فانه يصبح نهائيا . وما اشترطه القرآن اطرد الزوجة ان تكون قد انت بفاحشة ميينة اذ قال : يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واقنوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة ميينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه . لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امر افاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعرف او فارقوهن بمعرفة سورة الطلاق

هذا وليس للمرأة الحق في ان تطلب طلاقا من الرجل ولكنها تستطيع فسخ الزواج على يد القاضي وذلك لاسباب معقولة عادة والغرض الظاهر من هذا التحديد هو الاقلال ما امكن من وقوع الطلاق اذ للفروض في الرجل ان يكون اكمل عقلا واقل تسرعا من المرأة واوسم منها صدر

ومن القواعد التي سنبا القرآن انه في حالة وقوع خلاف بين الزوجين يجب الاحتكام الى محكمين عدول من اهل واهل الحسم اسباب الخلاف واصلاح ذات البين ومن هذا يتضح ان الاسلام يرى ان الطلاق امر مكروه اذا لم يكن منه بد وقد جاء في سورة البقرة (ولذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان قاموا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم) وجاء في الحديث (ان ابنس الحلال عند الله الطلاق)

ونحنبا لاسباب الفتنة ومنما لا تشار الزنا والدعارة الزمت للمرأة المسلمة بان تضم ثوبا يخفي كل جسدها ولا يكشف منه الا مالا يوق حريتها كالعينين والكفين والقدمين ولم يقصد بهذا الى الخط من كرامتها او عدم الثقة بها او تعقيد ارادتها كلال كان ذلك لحمايتها من شهوات الرجال ونزعاتهم وبفضل هذا

الحجاب الذي ضرب على للرأء وعيشة العزلة التي تمشيها طوعا ونهaya القديمة
التيبة منذ احيال ظلت البلاد الشرقية التي لم يسدها النفوذ الاجنبى مصومة
من الدعاره وما من احد يستقيم المكابره في عظمة هذه الفضيلة التي يجب ان
يؤخذ منها عادة الحجاب وعدم اشراك الرأء في الحياه العامة اللهم الا بقدر
معلوم وفي حالات خاصة كانت لها فوائد لا يستهان بها وكان ينبوع خير
وبركة لهيئة الاجامية الاسلامية .

وان البلاد التي لم يتشرفها بين الشعب ذلك التهذيب الذي يكفل
للرأء حريتها وقوم فيها قوارق وخلاقات كبيره حول قواعد الاخلاق والثقافة
بين طبقات اهله المختلفة فان ابتعاد الرأء عن الحياه العامة امر لا بأس منه ولا
ضرر وعما من مخالفة ذلك للأفكار الحديثة والمدنية الغربية وليس معنى هذا
انه يجب الاحتياط دائما بهذا التضييق وهذه الشدة الذين نجد هاهنا الوقت الحاضر
في معظم البلاد الشرقية على ان فكره كنهه ستكون بلا شك مخافة لروح
الاسلام الذي طابق حاجات الشعوب في مختلف العصور وقد جاء في القرآن
(يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين بدنهن عليهن من جلابيبهن)
ذلك ادله ان يعرفن فلا يؤذين — سورة الاحزاب) كما جاء ايضا (وقل
للمؤمنات يفضضن من ابصارهن ويهظظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما
ظهر منها وليضربن بخمورهن على جيوبهن — سورة النور) . وهذه التعاليم
يجب ان تفهم على الوجه الذي فهمه وعمل به النبي المهي ترك نساء ، يتمتعن
بقسط كبير من الحرية ولا يمكن تفسيرها بغير ذلك الدور الذي لعبته اكثر
من واحدة منهن في الحوادث السياسية والحرية في ذلك الوقت سواء في حياة

الرسول او بدمه كافملت السيدة عائشة في الجملة التي كانت قائمة ضد الامام علي
عند ما كانت تعرض المحاربين من هودجها وتستعنتهم على القتال في واقعة الجمل
وقمرضت من جراء ذلك لاشد الاخطار في الزحام او كافملت كاطمة بنت
قيس الفهرية في الخلافات التي قامت حول خلافة عثمان او كما فعله كثيرات
غيرهن من نساء المسلمين في صدر الاسلام.

واذا كانت المرأة في اوروبا قد بلغت شأواً كبيراً في السنين الاخيرة من
وجهة النظر الاجتماعية كان مركزها قانوناً كان الى وقت قريب في كثير من
البلاد اقل استقلالا من مركز المرأة للسلطة في العالم الاسلامي فان للمرأة للسلطة
فضلا عن تمتعها بحق مشاركة اخوتها في الميراث ولو بنسبة اقل وعدم زواجها
من احد بتبر رضاها وعدم اكراهها على مباشره زوج يسيء معاملتها فان لها
الحق في قبض مبر من زوجها وان يقوم الزوج بالاتفاق عليها حتى ولو كانت
موسره وان تتمتع بكامل استقلالها وخريتها في ادارة ممتلكاتها اذا لم يكن
هناك مانع قانوني يمنحها من ذلك

...

اما الرق وهو ذلك النظام الذي نشأ كما يقولون مع الحياة الانسانية والذي
استمر في كل الازمان وعند كل الامم الى عهد غير بعيد فان القرآن لم يجرمه
وقد اتخذ غير المسلمين من عدم تحريره سبيلا للزراية على الاسلام والمخط من
شأنه وفضلا عن ان مركز العبيد عند المسلمين في البدو والحضر كلهم اكفر
تسامحا مما يظنونه في اوروبا (كاشهد بذلك السامعون للتريبون الذين اجسموا
على تسامح المسلمين مع الارقاء) وليس من العدل في شيء ان تقارن الرق

الشرقي بذلك الرق الذي كان موجوداً في أمريكا وينبغي ان نذكر ذلك الحديث الذي روي عن النبي في هذا الصدد وهو حديث يفيض بالرحمة وروح العطف (لا يذل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاتي وفتاتي وغلامي)

اما من رجة النظر التاريخية فان عمل الرسول يتجلى بشكل عجيب في هذا الموضوع فانه حدد الرق وبينما من الممكن قبل الاسلام استرقاق الرجل الحر من اجل دين عليه فان المسلم اصبح لا يستطيع استرقاق اخيه في العبيد لاي من الاسباب والى جانب ذلك فقد وضعت قواعد ووجهت وصايا الى المسلمين بقصد وضع حد للرق وتحرير العبيد تحريراً تدريجياً ولاشك ان هذه الوصايا كان من الممكن ان تأتي بالثمرة للرجوة اذا لم يكن الرق متصلاً في عادات الشعب العربي والامم التي خضعت لسلطانها واذا لم يكن الناس الذين حملتهم القسوة والتجبر على تفسير آيات القرآن الواردة في هذا الشأن تفسيراً خاطئاً يوافق هواهم بقصد ابقاء الرق وقد جاء في القرآن في اكثر من مرة ان تحرير العبيد فضلاً عن كونه محلاً فيه مرضاة لله فانه يعتبر كفارة عن بعض الخطايا كقوله تعالى (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة - سورة النساء) وقوله (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا يتحريرون رقبة من قبل ان يماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خير - سورة المجادلة) وقوله (وما ادراك ما العقبة فك رقبة - سورة القدر) واما الحديث الشريف فقد قال (من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل ارب منه ارباً منه من النار)

وقد وضع للشعرون الاسلاميون الذين استرشدوا بالقرآن والسنة عدة التزامات وعدة تسهيلات بقصد تحرير العبيد ولما كنت لا استطيع ان آتي

عليها جميعا ههنا فاني اقتصر على ذكر اثنين منها على سبيل المثال ومنها يضح
كيف كان الرقيق في الشريعة الاسلامية يستطيع ان يسمو بنفسه الى درجة الرجل
الحُر اذا كان سيده لا يستطيع او لا يريد ان يتحمل ما يصيبه من الحسرة الثالثة
بسبب تحريره فكان ميسورا لعبد ان يحصل من سيده على ورقة عتق يشتري
بها رقبته في مقابل ثمن يقدمه اليه في وقت معين كما انه كان في استطاعة العبد
ان يرجو مولاه في ان يمنحه الحق في اكتساب قود من عمله وكده يشتري بها
رقبته ولم يكن في ذلك من غشاضة على مولاه وفي ذلك يقول القرآن «والذين
يبتغون الكتاب عما جلت ايمانكم فكايبوم ان علم فيهم خيرا» «سورة النور»
واللهبوم هنا من الكتاب هو ورقة العتق وهناك ما هو اكثر من ذلك فقد كانت
الدوة الاسلامية تخصص جانبا من دخل بيت المال لمساعدة العبيد الذين يرغبون
الحصول على حريتهم

وهذا الاسلام الذي لم يميز جنسا على جنس او لونا على لون من الناس
بل اعتبر البيض والسود والبدو والحضر والحكم والمكومين متساوين في كافة
الحقوق ليس نظرا لحسب بل وعمليا ايضا حتى لتراحم في الخيام والبيوت
والساجد والاسواق يختلط بعضهم ببعض دون ان يحقر احدهم الاخر يقول
ان هذا الدين لم يسمح باذلال الارقاء او بمعاملتهم معاملة سيئة بل حتى على
الرفق بهم والاحسان اليهم واكثر من ذلك جعل عتق العبد كفارة عن
الاماءة اليه فقد جاء في الحديث (من ضرب غلاما له حدا لم ياته او طعه فان
كفارة ان يستقه)

وكيف لا نذكر ههنا ونحن نتكلم عن المساواة التي فرضها الاسلام بين

الناس حكاية طريقة عن ذلك الملك الساسي جبة بن الاب . نه لما اسلم حضر
في موكب حامل الى مكة بقصد اداء فريضة الحج وبينما طوف حول الكعبة
لطم بدونيا على اذنه لكمة شديدة لانه اوقع غيابه عن كفيه ولما سمع ان
الحليفة عمر ابن الخطاب قد فتح ليدوي بان يقتص لنفسه يان يلطم ذلك الملك
كما لطمه لان الاسلام يساوى بينها لم يخضع جبة قط لهذا الحكم واتخذ الليل
حلا هو وحاشيته وانسحبوا من مكة دون ان يشعر بهم احد ثم توجه الى
قصر الروم واعتق النصرانية على يديه وبعد سنوات عديدة بقيت ذكرى
الاسلام قبل جفونه بالدموع وهو محوط بانواع الجاه والثرء والاكرام

وهناك امثلة كثيرة لا تم تحت حصر سجلها التاريخ عن عبيد كانت
توكل اليهم ام مرافق الدولة ووظائفها وبين هؤلاء بلال الذي كان اول مؤذن
في الاسلام نظراً لخلوة صوته وعذوبته وعن الماتيق الذين شغلوا اهم مناصب
الدولة التي ارققت احيانا المركز الوزارة والخلافة

وقيل ان تنتقل الى موضوع آخر لارى باسا من ان نذكر ان محمداً منم
خصي العبيد من بابا واما عاده حراسة النساء بواسطة الحسيان فأنها لم تستحدث
الا في عهد الدولة الاموية

اما فيما يتعلق بقانون العقوبات فن المعلوم ان القرآن لم يتتبع طريقة جديدة
فيه وذلك اما لان تدبيلات كبيرة في هذا الميدان لم تكن مما يمكن تحقيقه
في ايام محمد واما لانه كان يرى ان يترك لاشعوب الحق في سن القوانين التي
تلائم طبائعهم وازمتهم وانما قد اكتفى بادخال بعض التحسينات الخاصة على
القوانين التي كان معمولاً بها ولا سيما بعد ان مما بقدر الامكان تلك النتائج
للشهوة التي كانت وليدة حب الاخذ بالثار

وان الشريعة الاسلامية لتتفق مع قوانين الدنيه والتقدم في ذلك المبدأ
المتاثل بأنه يجب البحث عن للذنوب ومما قبلته على جريمته لكي يلقى جزاء ما
اجترحت يده . ولكنه في بعض حالات خاصة وضع قواعد ثابتة وممينة واصلاح
بعض العقوبات التي كانت موجودة في قوانين الشعوب السابقة مثل القصاص
والنكر والرجم بالحجارة ويقول القرآن (ولكم في القصاص حياة يا أولي
الالباب — سورة البقرة)

وفي الواقع فان الخوف من توقيع عقوبة على المجرم تكون اشد من جريمته
كما يحملك بيد الرجل القويهم بارتكاب اية جريمة واننا اذا نظرنا الى الاحكام
الصارمه التي وضعها القرآن عقوبة لجرائم القتل والاعتداء على النفس والنفس
والنخبة والمرقة والسكر وقطع الطرق اظهرت لنا حكمة العظيمة واثرائها
من الجرائم واذا ما كانا بالآية القرآنية التي تحض على العفو والرحمة ابتداء
مرضاة الله وعلى الاعتدال في طلب الدية والتمويضات والتي تومي بعدم تعذيب
المجرم والبالغة في اذلاله لظهر لنا ندوة تطبيق الاحكام الصارمة التي وردت
في القرآن

وقد فرض على المؤمن ان يبذل جهده في تلافي عقاب المجرم — لان الله وحده
ملائمة مع الانسان على قاعدة الرحمة والشفقة والتسامح ، اهم ان هنالك طائفة
من الاحكام والحدود تجعل عقاب المجرم ، وفقاً لما جاء به القرآن صبة للتنفيذ .



الفصل السادس

قيمة التصوف في الاسلام

كان المسلمون في العصور الاسلامية الاولى معتدلين في اداء واجباتهم الدينية لانهم كانوا اذ ذاك في شغل عن الانهك والغرور في التبعيد بالسمي على معاشهم والاشتغال بامور دنياهم ولكن حدث اخيراً أن دخل عنصر التصوف على دين الاسلام كما حدث في الديانات الاخرى وذلك لما لتطور طبيعي داخلي. واما لعوامل خارجية طارئة

لا شك في ان نية التقرب من الخالق والاتصال به هي الغرض الجوهرية لكل عبادة حقة وان الرغبة في اجتلاء الانوار الربانية هي بغية كل مؤمن وما التبعيد الاسلامي الذي يسمونه التصوف الا وليد حاجة النفس المؤمنة وقد وجد عنصره الاول في صميم الشعور بالاتصال بالله الذي كان يتكلم عنه النبي كثيراً مع اصحابه كما وجد الارض الصالحة لنموه وتطوره في انتشار النظريات الافلاطونية الجديدة

ولكننا نلاحظ جيداً ان الفكرة القائلة بان آيات القرآن تشمل على معنى باطني عميق الى جانب معناها الظاهري لم تولد من الرغبة في التخلص من شدة النصوص ومن العبادات ولكنها نشأت من الاقتناع بان عبارات القرآن تنطوي على معان اوسع مما فسرت به واهتم بها فهمه العامة.

ولا يوجد في فكرة النور الباطني اي اساس للاعتقاد بان النبي او واري
تم اليه قد نصحو يوما ما بترك الحياة الدنيوية والاشتغال عنها بالمعبادة. وقد
بيننا فيما تقدم كيف خشي النبي عن الزهد والتعسف والاقطاع لتعبد ومع ذلك
فان كثيرين من المسلمين في العصور السالفة قد نسوا ان الحياة الدنيا يجب ان
تكون دار عمل ومجهود متواصلين واعتزلوا العالم وعكفوا على العبادة وذلك اما
لرغبتهم في الوصول الى الكمال الروحي واما لمقاومة الابهية الوثنية التي سادت
في عصر بني امية واما لتفورهم من الحوادث السياسية التي تخالف مشاعرهم
العالمية واما لاسباب اخرى غير هذه وتلك.

وكما ان الخطوة بين الورع والاعتكاف عن الناس قصيرة للذي فقد كان
التطور من الاعتكاف الى التصوف امرا طبعيا ولما كان مقام الاتحاد القدسي
والشوق الى معرفة الله بالاتصال والمشااهدة امرين لا يتوفران وسط مشاغل
الحياة الدنيوية وملاهيها فقد حدث بالضرورة ان انتقلت الى الاسلام نظرية
السمو الروحي والاتصال الالهي للمروفة في الديانات الاخرى وقامت هذه
النظرية الصوفية على اساس تضحية للرء تضحية كاملة لامور الحياة الدنيوية
والاقبال المطلق على الحياة النظرية فاذا ما نسى للرجل ان يجمع حواسه ومشاره
ويشفي عن نفسه قشور المادة وجب عليه ان يبذل جهده في ان يدع جبال الله
يقسط عليه واذا ما سما بروحه نحو الخالق تمرد من مظاهر الحياة المادية حتى
يصل الى استغراق شخصه في اللا الالهي وذات الله الذي هو الحق بنفسه.

وما اثنى هذا الغرض الذي لا يتردد عن اجتذاب الارواح للتعطشة الى
الروحانية ذلك الغرض الذي كان يفيض خيرا ويركة على المسلمين لانه لما كان
قد ادخل في روعهم امكان الاتصال بالله بعد رياضة النفس حينما من الزمن على

ذلك النمط من العبادة فقد قوى فيهم الاحساس بالكرامة الروحية وبدلاً من
الحاجة الاوامر الالهية طاعة عمياء هداهم الى تهذيب النفس من طريق التنسك
وبذلك خلصت النفوس من شوائب اللادة

ومما يؤسف له ان التصوف للمتطرف الخارج عن كل نظام سرعان ما اتخذ
في كثير من المسلمين اشكالا مغالطة لقواعد الاسلام الاساسية التي اوصى النبي
باتباعها وما اسرع ما اندمجت فيها آراء القائلين بالحلول وغيرها من العبادات
الفرية والقواعد الاخلاقية الفاسدة التي كان الاسلام من جرائها مهددا
بأشد الاخطار ولعلنا نرى من جهة اخرى مهدداً بخطر
آخر لا ندري اذا كان اقل او اشنع من خطر تلك الطرق الصوفية الفاسدة
فان الفقه الذي كان قد اجذب من جراء للناقشات العقيمة في مسائل دقيقة لا
يفهمها عامة الشعب الا بحسب نتائجها ومقدار اثرها في متروك الحياة هذا الفقه
قد انتهى به الامر الى ان فقد مروته وصار مجموعة من نصوص جامدة لم يعد
في استطاعتها ارضاء آمال النفس البشرية وفضلا عن ذلك فان اغلبية فقهاء
المسلمين بدلا من اهتمامهم بالمسائل الفقهية قد انكبوا على دراسة الشريعة الالهية
التي جبروا بقديسيتها وتعليقها العملي في مختلف الحالات ولما كانت تعوزهم
الفكرة الصحيحة عن هذه الشريعة فقد أخذوا يتخبطون في مناقشات عقيمة
هزيلة حول مسائل دقيقة قليلة الخطر لآن الرغبة في ارغام الناس على مراعاة
نصوص الدين ومحو البدع والقضاء على الاتحاد كل اولئك كان اهداهم سويا هو الشغل
الشاغل لكافة المذاهب الدينية .

وكان من حسن حظ الاسلام ان ظهرت في هذه الفترة المصيبة من ايام
حياته عبقرية رجل مجد هو الامام الغزالي الفقيه اخذ في تقويم ما تزعم من

اركان هذا الدين والنهوض به من كيوته ونفخ فيه من روحه قوة حيوية صحيحة
والبسة ثوبا قشيبا من البهجة والجلال ودعا الناس الى حياة صوفية جديدة تقوم
على اساس مراعاة القواعد الاسلامية الصحيحة مترحما في ذلك خطوات السلف
الصالح من اصحاب الرسول فكان يقول ان قواعد الاسلام الوضعية كان يجب
ان تكون اساس التقدم للحياة الدينية عند الصوفيين وان تكون معرفة الشرع
اساس التمسك الصوفي والسبب الذي يمكن الوصول منه الى اجتلاء الانوار
الالهية وقد اصبحت آراء الغزالي التي قبلها للسلطون بالاجماع حجر الزاوية
التي وضم الاسلام حليه بناء النهائي لآرائه ومظاهره الدينية ومخلص من
جود رجال اللاهوت والفقهاء وبريء من الفساد الذي اوقعه فيه تطرف
التصوفيين وتورمهم ومن ثم عاد هذا الدين الى ما كان عليه من سعة الصدر
والصفاء والبهاء واستعداد حرية الفكر والاعساس واصبحت العبادة تدور حول
محور واحد هو محبة الله وكان له بذلك أجل الأثر في حياة المسلمين .

هكذا نلجأ عنصر الفلاسفة الصوفية المشاغب الى الزوايا وكانت تضم
جماعة المتأخين من الصوفيين وقد انتشرت هذه الامكنة في جميع انحاء العالم
الاسلامي واطلق عليها اسم (الرباط والحقاقه) ايضا .

وفي بادئ الامر كان اذا نزل الى مكان من هذه الاماكن زاهد من
الزهاد يطلق عليه لقب ولي او بار او سيدي بحسب عرف البلاد المختلفة وكان
هذا الزاهد يدعي انه قد نجلت له القدرات الالهية وحظي منها بالوفى وللشهادة
ومرعان ما كلف يجتمع عليه الاتباع والريدون وبذلك تأسست الطرق
وانتشرت التعاليم الصوفية ولم يتيسر لغير القليلين من الناس ان يحفظوا بلقب
الولاية والى جانب المخلصين والامناء الذين أقادوا الناس بارشاداتهم

وتعاليمهم القوية كان هناك مخادعون ادعيا يتجرون بمقول العامة والجهل والحق فافسدوا عقائدهم وأنهكوا قوام الفكرية بالعبادات الصوفية الفاسدة وتكاليفها المفضية .

وكيف لا تقرر هذه الحقيقة وقد ترتب عليها ضرر كبير للحياة الاجتماعية فان اعتكاف الصوفيين كان من نتائجها ان حل الناس في الوثوق بالله وقدرته فاقوت كل حد معقول وعلى التوكل عليه توكلوا أقعدهم عن طلب الرزق والسعي على حاجاتهم المادية ولا ريب في ان الصوفية ينسب اليها جانب كبير من مسؤولية انحطاط الامم الاسلامية وتأخرها في الوقت الحاضر ولكن من جهة اخرى كيف ننكر الخير الجزيل الذي استفادته الاسلام من عمل هذه الجماعات ولللاجبي الدينية التي غالت معمورة في جميع انحاء العالم الاسلامي حتى في المرافة البعيدة وفي الواحات المنزلة في اواسط الصحراء ونحن من اجل ذلك لا نريد ان يحكم غير المسلمين على الدين الاسلامي بما يسيوهم من مظاهر بعض المبادات الصوفية التي يستنكرها المثقفون ولا نفكر من المسلمين هناك ما يقوله احدم الاستاذ محمد فريد وجدي في هذا الصدد في كتابه للدين والاسلام .

(قول تمام الحرية ان الاوروبيين معنوزون في تصديق التهم ضد الاسلام والمسلمين ولهم الحق في العمل ضدها ما داموا لا يرون أمام أعينهم من مظاهر الدين الا البدع التي اخترعها صغار العقول وقبلها منهم العامة وزادوا عليها اشكالا مع الاوهام والاضاليل التي تنفر منها الطبايع البشرية وتتنافى اصول للدين بحيث نرجو ان يفهم الاوروبيون حقيقة ديننا وانه الملاك الوحيد للعبادات كلها حالة كونهم لا يعرفون من دين الاسلام الا ما يزونه أمام أعينهم

كل يوم مثل الصباح في الطرقات شتات الطبول وتحت الرايات ومثل اقتراف
أشد المنكرات المنافية للادب والعقل في لئواله التي تقام في كثير من جهات القطر
المصري ومثل الاجتماع الى حلقات كبيرة على مرأى ومسمع من أولف
المتفرجين والصياح الشديد بالذكر مع التمايل يمينا ويساراً الى غير ذلك مما لو
أردنا ذكره لطال بنا الكلام ونخرجنا عن المقام ، لهذه الاسباب كلها صار
الشرقي للتتور ملقياً على عاتقه واجبين أولها فهم العالم أجمع أن الدين الاسلامي
فضلاً عن كونه بريئاً من الاذليل التي يذهبها اليه بعض الكتاب ومنزها عما
يفسده العامة على مرأى من المتفرجين فإنه ناموس السعادة الحقيقية وملاك
المدنية الصادقة حتى يذبح الى احترامه ومحبته كما يحترمه ويحبه بعض الفلاسفة
الكبار الذين درسوه واعتقدوه ثانياً ان يسعى عقلاء هذه الامة في نحو البدع
التي غص بها العالم الاسلامي وصارت قطعة سوداء في جميع الشرق وموضع
استهزاء كل من عنده مسكة من العقل .



الفصل السابع

الاسلام في علاقاته مع العلم

يقول الامام محمد عبده ان اساس الاسلام هو الافتتاح العقلي اذ انه لم يأت بشيء يملو على الفهم او بما يستحيل عند العقل ولم يلجأ الى الادعاش بالمعجزات وخوارق الماديات او الالهة بالخيالات لحل الناس على تصديقه والايان به. كلا، ولكن الى السير الطبيعي ففكر الانساني. وهذا هو القرآن الذي جمع بين دفتيه الكلام والعلم وكلاهما مقبول بالعقل، قد نهج بهذا الدين منهجا يمكن لاهل الزمن الذي انزل فيه ولمن يأتي بعدهم ان يقوموا عليه فلم يقصر الاستدلال على نبوة محمد بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة بل جعل الدليل في حال النبي مع نزول الكتاب عليه في شأن من البلاغة بمعجز البلفاء عن محاماته فيه ولو في مثل اقصر صورة منه (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بصورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين - سورة البقرة) وقد خاطب العقل واستنصه الفكر وعرض نظام الالكوان وما فيها من الاحكام والانتظام على انظار العقول وطالبها بالامعان فيها لتصل بذلك الى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا اليه

وان الاهمية التي يعطيهها الاسلام للعقل هي في نظر معظم المسلمين بحيث انه اذا جاء ما يوم ظاهره انه غير متمش مع العقل وجب الاعتقاد بان الظاهر هو غير المراد وعلى ذلك وجب تركه نزولا على حكم العقل والامرء الخيار بمد

ذلك في التأويل والاعتراف بان الحديث بحالته غير قابل لفهم او الاجتهاد في تأويله تأويلا من شأنه ان يجعله يتماشى مع العقل واما ان يقبله المسلم كما هو في هذه الاستحالة فلا سلام يريه من ذلك كل البراءة .

هذا الايمان الذي اساسه الاقتناع الفكري والذي يفرض على الرجل ان يستعمل مواهبه الفطرية واخصها الفكر في فهم اصول الدين كيف يستطيع ان يكون هذا الايمان عائقا لعلم والفلسفة .

رب قائل يقول ان الدينية الحاضرة امكنا ان ترتقي بسهولة في اوروبا اما لان المسيحية فصلت السلطة للدين عن السلطة الدينية واما لان الدول الغربية الحاضرة قد تخلصت من السيطرة التي كانت تدعيها الكنائس لنفسها بينما لم تظهر في البلاد الشرقية حركة مثل هذه ولم تتحقق لان السلطة للدين مرتبطة قانونا بالسلطة الدينية وجاينا على ذلك ان الاسلام في الواقع وقس الامر هو دين وقانون وفضلا عن انه هدى الناس الى معرفة خالقهم فانه قد رسم حدودا لحرية الفرد كما وضع حقوقا وواجبات كان من الضروري لمراعاتها وجود سلطة تقوم على تنفيذها ولكن الخليفة عند المسلمين ليس بالرئيس الديني فلا هو ممن لا يخطئون ولا هو يدعي لنفسه العصمة والاتصال بالله كما انه لا يدعي لنفسه الحق في الاستشارة لتفسير القران والحديث وانما يجب ان يكون في حالة تسمح له لفهم النصوص الدينية بحيث يستطيع التمييز بين الحق والباطل ليتمكن من اتيان على العدالة وهو مع ذلك مثله كمثل سائر المسلمين له ما لهم من الحق في الاجتهاد وفي تفسير النصوص الدينية وتجب طاعته على المسلمين ما دام متبعا للطريق السوي لانه اذا ساد عنه لرغايه الحق في لفته الى الصواب وفي انذاره واذا اصر

على عدم الاعتناء الى نصحهم كان لهم الحق في خلعهم واقامة غيره في مكانه ويقول حديث صحيح (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) وأما الطاعة في المعروف (فالخليفة والحالة هذه ان هو الا قاض مدني وليس وكيلا لله في الارض يستمد منه السلطة والنفوذ ولا يكمل ايمان الناس الا بطاعته .

ليس في الاسلام الاسلطة دينية واحدة اذا اردنا ان نطلق عليها هذا الاسم وهي تشمل على الموهبة التي منحها للمسلمين كافة حقيرهم وفيلهم غنيهم وفقيرهم في ان يسلطوا اخوانهم في الدين باتباع الخير واجتناب الشر اما القاضي والقاضي وشيخ الاسلام نفسه فليست في يدهم الاسلطة مدنية لانه ليس منهم من يستطيع ان يتحكم في ايمان اخ له في الدين

ولكن هل منح الاسلام تقدم الثقافة والعلوم في الاجيال السالفة عندما كانت مدارس العرب وقصور امراءهم ينبعث منها النور الى اوروبا التي كانت غارقة في ظلمات القرون الوسطى وعندما كان فكر فلاسفة العرب قد بلم اعمى علاه حتى صار مناراً تهتدي به عقول الغربيين وعندما كان هارون الرشيد يأمر بتشيد مدرسة الى جانب كل مدرسة لتعليم العلوم المختلفة او عندما كانت المكتاتب الغنية بالآلاف الكتب لتؤلفه تفتح ابوابها لباحثين في كل صقع من اصقاع العالم الاسلامي

الم يمارس العرب الطريقة التجريبية قبل ان يعلن عنها العلامة باكوني؟

الم يكن لعرب الفضل الاول في تقدم علم الكيمياء والفلك وفي نشر العلوم اليونانية ومتابعة الابحاث الطبية وفي اكتشاف الكثير من القوانين الطبيعية وهل بعد هذا كله يمكن ان يقال ان الدين الاسلامي من طبيعته اعاقه تقدم العلوم والثقافة ؟

له من الممكن القول بان السياسة قد اضطرت احيانا بقصد بث السلام في بعض البلاد الى اتخاذ تيارات فكرية كان يتوقع منها الاضرار بالنظام العام وبان الصراع السياسي والشخصي كان قبل الصراع الديني سببا فيما مضى في اعدام بعض رجال اللاهوت والعقهاء والمحدثين والفلاسفة ويمكن ايضا الاعتراف بأنه في بعض الجبهات الاسلامية تقوم في الوقت الحاضر عداوة شديدة لعلوم الفكرية ولصناعات الحديثة

ويمكن القول ايضا بان معظم الافغان والفرس والهنود لا يزالون مرتبطين كل الارتباط بتقاليدهم القديمة وبان للمعارضة غارقون في تعصبهم الشديد ونعترف ايضا بان الفقهاء لا يزالون مرتبطين بنصوص الكتاب الحرفية فيمتنعون عن ابداء اي فكر في اية حالة جديدة لم يرد عنها نص في الكتاب والسنة اويحاولون ردها الى رأي العلماء السالفين ولكن لا يجب ان نتهم طبيعة الاسلام بالفتور والحقول الذين يجب ان ينسب اليها الى حالات تاريخية خاصة وفي الوقت الحاضر الى عقول ضيقة لبعض جماعات من المسلمين

واما الدين الاسلامي فانه بعد ان كان عريبا وبعد ان عرب العلم اليوناني سقط بكل اسف في ايدي الانراك والتتار والمغول الذين نزولوا ببلادهم لكي يكسبوا قوتهم كحاربين مأجورين وسرعان ما استولوا على السلطة فيها واعتقوا دين مقهورهم ولبسوه كما يلبس للعطف دون ان يفهموا سره او يدركوا روحه الحقيقية ولم تكن قلوبهم متهيئة لقبوله كما يجب وقد حاول هؤلاء الاعاجم البرابرة ان يحدروا اعصاب رعاياهم بان اطلقوا فيهم حب العلم لكي يتم لهم التسلط عليهم عليهم ولكي ينفردوا وحدهم بالتصرف في كافة شئون الامة الاسلامية واستغلوا فكرة وجوب النزول على حكم ما قدر من الازل كطريقة لشل افكارهم

وارادتهم ونشر الفكرة القائلة بان الاجيال القادمة لن تأتي بمثل ما اتى به السلف الصالح وعلى ذلك يجب على المسلمين ان يترجموا خطوات السلف ويتبعوهم بدون بحث وكيف يمكن ان يكون ذلك اذا كان القرآن قد نسي على انبام الديانات الاخرى اقتفاءهم آثار آبائهم اذ جاء في سورة البقرة (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما افينا عليه آباءنا ولو كن آبائهم لا يسفلون شيئا ولا يهتدون)

ولما لم يكونوا في درجة تؤهلهم لفصل في هذه المسائل الدقيقة فأهم لم يبق لهم الا ان يكتفوا بفهم آراء السلف واتباعها فكانوا هم بالاختصار السبب في تشويه شكل الدين الذي اعتنقوه واتبعوه في مظاهره الخارجية فقط دون ان يفهموا روحه الحقيقية او يحارلوا فهم ومن هنا نشأ ذلك الجمود الذي نسب الى الاسلام والذي كانت له اسوأ النتائج ليس فقط في الميدان الديني بل وفي التشريع والحديث والاداب وفي كافة مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة .

وليس هنا مكان اثبات ذلك بالوقائع ولكن كان من حسن الحظ ان كان ذلك الجمود مرضا مقدرا له الزوال بل هو فعلا في طريق الشفاء وسيعود المسلمون مرة ثانية الى الارتواء من منهلهم المذهب الصافي وهو القرآن الذي لم تمسه يد عدو ولا حبيب ولا عاقل ولا جاهل ولكنه بقي بغير تغيير ولا تبديل في خلال المصور الماضية كما ارشى الله به الي رسوله النبي الامي خاتم الانبياء والمرسلين .



فهرست الكتاب

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| ٤ — نحو الاداب الاسلاميه | مقدمة |
| وانرها | ١ — سرعة انتشار الاسلام |
| ٥ — الاسلام والمدنية | من صنع الحكمة الالهية |
| ٦ — قيمة التصوف في الاسلام | ٢ — بساطة العقيدة الاسلامية |
| ٧ — الاسلام في علاقته | ٣ — حكمة شعائر الاسلام |
| مع العلم . | الدينية |



اصراع الفاظ

| صفحة | سطر | خطاء | صوابه |
|------|-----|--------------------|---|
| ٣ | ١٠ | الجلس | الجلس |
| ٣ | ١١ | اليبا | الي الفريسين |
| ٣ | ١٣ | ة وها | يقروها |
| ٣ | ١٤ | الار | الادري |
| ٤ | ٦ | Noeldeke | Noeldeke |
| ٤ | ٧ | Caitani | كايتاني |
| ٤ | ٨ | قد وصلوا من | قد وصلوا الى التسليم بصدق محمد |
| | | غير المسلمين | وخلوص نيسته والى الاعتراف بتزول |
| | | | نوع من الوحي عليه وان يكن ببعض |
| | | | محموس ، وانما اختلفوا في تفسير خلفاءه |
| | | | عند ما تعرضوا للبحث في الموضوع |
| | | | ودعوا الى ذلك شق التأويلات لا يمكن |
| | | | حتى للعالم المتقدم غير المسلم الاخذ بها |
| | | | والاعتقاد عليها دائما وفي كل حالة من |
| | | | الاحوال |
| ٤ | ١٥ | او | وقد حرروا ايضا الوحي المشار اليه |
| ٥ | ٦ | وهذان استن | مما استنه محمد من السن واشترعه من |
| | | للحوادث | القوانين بصفته منشئا لدولة جديدة ، |
| | | | ومن نتائج تلك الاعمال التي دفعته اليها |
| | | | اميال النفس أو اسكرته عليها حوادث |
| | | | القدر |
| ٥ | ١٤ | Caitani | Caetani |
| ٥ | ١٩ | ونحت | ونحت |
| ٦ | ١٠ | بتره | بأسره |
| ٦ | ١٨ | Caitani | Caetani |
| ٧ | ٩ | وان محمدا ... وحيه | وان النبي رجل يخطط في عقلته بين |
| | | | الصوت الالهى والبشري لا بل انه |
| | | | يستغل هذا التشوش لما ربه الذاتية في |
| | | | قليل او كثير من حسن النية تيمنا لما من |
| | | | الذي فيه يعلن وحيه في مكة او في |
| | | | المدينة |

| صفحة | سطر | خطاء | صوابه |
|------|-----|-----------------------|--|
| ٨ | ٨ | لم أستطع على | لم استق من ابحاث المستشرقين الا |
| | | مكتابات كبار المؤلفين | النزر اليسير ومع التحفظ الكلي (مستعدة بنوع خاص على ابحاث جولزير) |
| | | | Goldziher القصة يداني اعتمدت على كتابات كبار المؤلفين |
| ٩ | ٣ | ابن | بن |
| ٩ | ١٣ | كما وضع | — |
| ٩ | ٢٠ | أولاً | او لا |
| ٩ | ٢١ | الاتباعية | النتيجة |
| ١٠ | ٤ | ؟ | — |
| ١٢ | ١١ | يعد | بعد |
| ١٣ | ١٠ | مستقبله | مستقبله |
| ١٣ | ١٥ | ويديء | ويديء |
| ١٣ | ١٦ | جعلوا | جعلوا |
| ١٤ | ١٦ | أبو | أبي |
| ١٤ | ١٦ | سنة ١٣ هـ | — |
| ١٤ | ١٦ | سنة ٢٢ هـ | — |
| ١٤ | ١٧ | سنة ٣٥ هـ | — |
| ١٥ | ١٥ | الى الان | على النوام |
| ١٦ | ٨ | للمرة | المعمرة |
| ١٩ | ٣ | يمتليء | يمتليء |
| ١٩ | ٩ | كذلك | كذلك |
| ٢٠ | ١٧ | يلزمون | يلزمون |
| ٢١ | ١ | كفاي | كفاي |
| ٢٣ | ١٦ | حيا ؟؟؟ | حياتها ؟ |
| ٢٥ | ٨ | ييفيان | ييفيان فباي آلاه وبكها تكذبان |
| ٢٦ | ١٣ | الآله | الآله |
| ٢٦ | ٣ | الاله | الاله |
| ٢٦ | ١٧ | تاريخياً خاصاً | من مصدر اختصاصي لا شيء |
| ٢٩ | ١ | الذار | الذار |
| ٢٩ | ٧ | طرائقة | طرائقه |
| ٣١ | ٩ | يفي | يفي |
| ٣٢ | ١٧ | الشعر يدل | الشعر لا يدل |
| ٣٣ | ٨ | كثنها | كثنها |
| ٣٩ | ٦ | نوال | نيل |
| ٣٩ | ١٨ | الشعائر | الشعائر |
| ٤٠ | ٣ | نحمرز | نحمرز |
| ٤٠ | ٤ | هذه | هذه |

| صفحة | حطر | خطاً | صوابه |
|------|-----|-------------------|---------------------------|
| ٤٠ | ٦ | مبادات | مبادات |
| ٤١ | ٥ | وقالون | وقالوا أن |
| ٤١ | ١٥ | ...؟ | ...؟ انتهى |
| ٤٣ | ٥ | اشاد | شاد |
| ٤٣ | ٣١ | ذكرات | ذكر |
| ٤٤ | ٤ | أكثر من مرة | غير مرة |
| » | ٨ | لغيرا | لغير |
| » | ١٣ | تلتظي | تلتقي النار |
| » | ١٤ | يستحيوا | يستحيوا |
| » | ١٨ | مخلدين | مخلدين |
| » | ٣١ | ونسيه ا | ونسيها |
| ٤٥ | ٧ | بهاثها | بهاثها |
| » | ٧ | وتعززا | وتعززا |
| » | ٢٠ | سبا | الاعراف |
| ٤٦ | ٢ | بفيه | بفيه |
| » | ١١ | ان | انا |
| » | ٢٠ | القاري | القاري |
| ٤٨ | ١ | مبادي | مبادي |
| ٤٨ | ٥ | وبين | و |
| ٤٨ | ١٣ | (|) |
| ٤٨ | ١٤ | (—) | ... |
| » | ١٥ | مبادي | مبادي |
| ٤٩ | ٦ | عبد الله ابن عمرو | عبد الله بن عمرو بن العاص |
| ٤٩ | ٧ | آخرين | آخرون |
| ٥١ | ٤ | اولا | او لا |
| ٥١ | ٧ | لتقدم | التقدم |
| » | ٩ | ماله | ماله |
| ٥٢ | ١٢ | علي | علي |
| » | ١٤ | ان واجبة | ان تكون واجبة |
| » | ١٦ | سكا | وكاانه |
| » | ١٨ | ونرى | (ونرى |
| » | ١٩ | (علي | علي |
| » | ٢٠ | وسيكون هو | فانه سيكون |
| ٥٣ | ٦ | الحاصة | الحاصة |
| » | ١٧ | فترات | فترات |
| ٥٦ | ١٤ | يؤديها | يؤديها |
| ٥٧ | ١١ | صدر | صدر |

| صفحة | سطر | خطاً | صوابه |
|------|-------|-----------------------|--|
| ٥٧ | ١٩ | مالا | ما لا |
| ٥٧ | ٢٠ | يهذا الى الخط | بهذا الخط |
| ٥٨ | ٥ | و | ، |
| .. | ٨ | الثقافة | الثقافة |
| .. | ١١ | الذين | الذين |
| .. | ١٢ | ان فكره | ان فكرة |
| .. | ١٤ | بالها | بالها |
| .. | ١٥ | ايضا | ايضا |
| .. | ١٦ | الؤمنات | المؤمنات |
| .. | ١٨ | الذي | الذي |
| .. | .. | نساء، | نساءه |
| .. | ١٩ | كبر | كبير |
| .. | .. | بغير | بغير |
| .. | ١ | الخط | الخط |
| ٥٩ | .. | على | على |
| .. | ١١ | بالإتفاق | بالإتفاق |
| ٦٠ | ٤ | رجمة | رجمة |
| .. | ٥ | وبينما | وبينما كان |
| .. | ٦ | لاي | لاي |
| .. | ٩ | الشب | الشعب |
| .. | ١٢ | أكثر من مرة | غير مرة |
| .. | ١٥ | يتحرر | فتحرر |
| .. | ١٧ | القلد | البلد |
| .. | ٢١ | وعدة وعدة | وعدة |
| .. | .. | آقي | آقي |
| .. | ٣ | يريد | يريد |
| ٦١ | ٥ | رقمته | رقمته |
| .. | .. | متافل | مقابل |
| .. | ١٠-١١ | يرغبون الحصول | يرغبون في الحصول |
| ٦٢ | ٢ | حافل | حافل |
| .. | ٤ | ابن | بن |
| .. | ٦ | خلا | جلا |
| .. | .. | وحاشيته | وحاشيته |
| .. | ٢١ | المشومة | المشؤومة |
| ٦٣ | ٤ | بمعن | بمعن |
| .. | ٥ | أؤل | أولي |
| .. | ١٧ | من الاحكام... التنفيد | من الاحكام والحدود جاء ذكرها في القرآن فجعل عقاب المجرم صعبة |

| صفحة | سطر | خطاً | صوابه |
|------|-----|-------------------------|-----------------------------------|
| ٦٤ | ١٥ | الى | الى |
| ٦٦ | ١٥ | النقه | علم اللاهوت |
| " | ١١ | هذا النقه | علم اللاهوت هذا |
| " | ١٣ | البشرية | البشرية لان الرغبة في ارضام الناس |
| | | | على مراعاة نصوص الدين وعو |
| | | | البدع والتعقيد على الاحاد كل ذلك |
| | | | كان ابدأ هو الشغل الشاغل لكافة |
| | | | المذاهب الدينية |
| " | " | فقهاء | ائمة |
| " | ١٤ | الذقيبه | اللاهوتية |
| " | ١٧ | مسائل دقيقة قليلة الخطر | حوادث فردية قليلة الخطر |
| | | لان الرغبة .. الدينية | |
| ٦٧ | ١٧ | اوبار | او بار |
| ٦٨ | ٥ | الناس | الناس على |
| " | ٦ | توكلا | توكلا اعمى |
| " | ٧ | على | الى |
| " | ١٩ | التي تنفر | تنفر |
| " | ٢٠ | بحيث | كيف |
| " | ٢١ | للمبادات | للمبادات |
| ٦٩ | ٢ | جبات | تقطع |
| " | ٥ | ٤ | ... |
| " | ٩ | ينمت | يشبعوا |
| " | ١٠ | واعتقدوه | واعتقدوه ... |
| " | ١١ | جيم | جين |
| " | " | موضع | موضوع |
| ٧٠ | ١٢ | فأوبو ايمو | فأأوبسورة |
| ٧٢ | ١ | نصائحهم | نصائحهم |
| " | ٤ | بطاعته | بطاعته |
| " | ٨ | الاسلطة | الاسلطة |
| " | ١٥ | بالاف | بالاف |
| " | ٢٠ | شئون | شؤون |
| ٧٤ | ٤ | الفنيا | الفنينا |
| " | " | آباء نادرلا | آباء نادرلا |



Bibliotheca Alexandrina



0460187